السبت 19 حزيران 2021
العدد 4369 السنة الخامسة عشرة
Samedi 19 juin 2021 nº 4369 15ème année

24 صفحة
2000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

لميعة عباس عمارة
لو أنبأها العرّاف

مجلس النواب والحكومة ومصرف لبنان يرفضون تحمّل المسؤولية

رفع الدعم من دون شبكة أمان! [2]

عون ـ برّي
الجولة المتأخّرة خمس سنوات
[4 ـ 5]

(هيثم الموسوي)

تقرير

زحلة تستعدّ لانتخاب مُطران جديد: تنافس سياسيّ على عاصمة الكثلكة

6

فلسطين

جهود متسارعة لإحياء «السلام» «سلطة أوسلو» تُجدّد آمالها

12

الأخبار
بهيدي الظروف الصعبة
مافينا إلا ما نكون حدّك.

جريدتك لمدة
ستة أشهر
مجاناً علينا
وكلفة التوصيل
200 الف
ليرة عليك
للإشتراك الإتصال على
01759500
أو عبر الواتساب
71513571
هذا العرض صالح حتى لغاية 15 تموز

قضية

مجلس النواب والحكومة ومصرف لبنان يرفضون تحمّل المسؤولية:

رفع الدعم من دون شبكة أمان!

يوم أول من أمس، بشّر وزير الطاقة برفع الدعم عن البنزين. قبله بيوم، بشّر نقيب مستوردي المواد الغذائية برفع الدعم عن الحليب والسلّة الغذائية... كان من المفترض، حسب مشروع حكومة الرئيس حسان دياب، أن يسبق رفع الدعم إقرار البطاقة التمويلية في مجلس النواب. لكن بدا واضحاً في جلسة اللجنة الفرعية المكلّفة درس المشروع، يوم أمس، أن المجتمعين لا يزالون عند النقطة الصفر وأن المواطنين رُموا في النار، من دون أيّ خطة واضحة لإنقاذهم، وأنّ ثمة ما يشير الى إغراقهم بالكامل وإبقاء مصيرهم بيد تعميمات مصرف لبنان. أما خلاصة اجتماع اللجنة فهي كالآتي: مجلس النواب، ومجلس الوزراء، ومصرف لبنان، يتقاذفون كرة المسؤولية، ولا أحد منهم يريد تحمّلها. يبدو أداؤهم كما لو أنهم اتفقوا على رفع الدعم، من دون تأمين ولو حد أدنى من الحماية للسكان. وهذا «الاتفاق» يغطّونه بخلاف على «مصادر تمويل» البطاقة، وعلى الآلية لاختيار الأسر التي تستحقها، وبناء على ذلك، يطالب المجلس النيابي الحكومة (المستقيلة) بموقف واضح في ما خصّ ربط مشروع البطاقة برفع الدعم، الأمر الذي لم تعلنه حكومة دياب حتى الساعة

رلى إبراهيم

في العادة، ترسل الحكومة ــ أيّ حكومة - مشروع قانون الى مجلس النواب لمناقشته، ويحضر الجلسات البرلمانية الوزراء المختصون بهدف الدفاع عن مشروعهم وتفسيره. لكن هذا المبدأ الذي هو أقل ما يمكن أن تفعله حكومة حسان دياب بعد 7 أشهر على بدء إعداد مشروع قانون للبطاقة التمويلية، يغيب تماماً عن الجلسات المنعقدة وآخرها جلسة اللجنة الفرعية المنبثقة عن اللجان النيابية المشتركة المكلفة درس مشروع القانون الوارد بالمرسوم 7797 الرامي الى إقرار هذه البطاقة، وفتح اعتماد إضافي استثنائي لتمويلها، واقتراح قانون البطاقة الائتمانية التمويلية الإلكترونية. فما جرى يوم أمس هو

> تحفّظ وزير الماليّة على استفادة المشمولين ببرنامجَي البنك الدولي والأكثر فقراً من البطاقة

غياب التناغم بين الوزراء الثلاثة: وزير المالية غازي وزني، ووزير الشؤون الاجتماعية رمزي المشرفية ووزير الاقتصاد والتجارة راوول نعمة. كل وزير كان يغرّد بشكل منفرد وتقديمه طروحات تناقض المشروع الأساسي وطروحات زميليه. باختصار، كان ثمة 3 سيناريوات أمس تمثّل 3 مشاريع مختلفة، مع نقطة التقاء واحدة هي أن هذه المشاريع كلها صادرة عن حكومة واحدة اسمها حكومة تصريف الأعمال. وزير المالية ذهب أبعد من ذلك في نسف مشروع الحكومة، فكرّر مرة أخرى (سبق له أن تحدث عن عدم موافقته على القانون في عدة اجتماعات) أنه وفريقه لم يشاركوا في إعداد المشروع ولا كتبوا أيّ فقرة منه. وهكذا كرّت سبحة الخلافات في ما بينهم، واحد يشجع إقرار البطاقة بالدولار، وآخر يفضّلها بالليرة اللبنانية؛ واحد يدعم خيار الحكومة بنيل الأسر المستفيدة من برامج البنك الدولي والشؤون الاجتماعية، مبلغ البطاقة كاملاً، فيما زميله يتحفّظ على القبض من مصدرين. كل ما سبق، يطرح عدة علامات استفهام حول ما إذا كانت البطاقة ستُقرّ فعلياً وحول مضمون التقرير الذي ستقدمه هذه اللجنة الى اللجان المشتركة بعد أسبوع، والذي من المتوقع أن يعيد النقاش الى النقطة الصفر. فالأساس في فكرة البطاقة التمويلية هو أن تتزامن مع رفع الدعم وتعوّض القليل على المواطن. من هذا المنطلق، أثار النواب الحاضرون في الجلسة هذه المسألة، وما إذا كانت الحكومة ستواكب إقرار البطاقة بترشيد الدعم. وبحسب المعلومات، فإن المجلس النيابي ليس بوارد الموافقة على مشروع البطاقة من دون إصدار الحكومة قراراً رسمياً بشأن رفع الدعم «لأن ذلك يقع ضمن مهامها ومسؤوليتها، والبرلمان غير مستعدّ لتحمّل تداعيات هذا الموضوع». ما يعني أن المشكلة التي وقعت في بداية العام الحالي بين السلطتين التنفيذية والتشريعية بشأن البطاقة وترشيد الدعم لا تزال على حالها شأنها شأن النقاشات على تفاصيل وبنود كان من المفترض أن تكون قد حُسمت وجرى التوافق عليها. في المحصّلة، سيدفع المواطن ثمن لامسؤولية وفشل وإهمال الطبقة الحاكمة مع بدء رفع الدعم عن المواد الغذائية، وبشرى وزير الطاقة باقتراب رفع الدعم عن البنزين ما سيؤثر على لقمة العيش والتنقل والماء والكهرباء وكلّ السلع والخدمات. وسيُحمّل بالقوة، كما يحصل في الوقت الحالي، كرة النار التي سبّبتها السلطة، مع ما سيرافق ذلك من ارتفاع جنوني في أسعار المواد الأساسية وانهيار إضافي لليرة اللبنانية. وهكذا، يوضع مصير المواطن مرة أخرى رهينة تعميمات مصرف لبنان وحاكمه، والابتزاز السياسي الذي يمارسه لحماية مخالفاته عبر مطالبته بغطاء لصرفه من الاحتياطي، تماماً كسلفة الكهرباء. وهو ما عبّر عنه أحد نوابه، ألكسندر ماراديان، في اللجنة يوم أمس. فعند تطرق النقاش الى طرق تمويل البطاقة، أوضح ماراديان أن لا أموال لدى المركزي لإقراضها للدولة وأن أي صرف من الاحتياطي الإلزامي يحتاج الى غطاء تشريعي.

اتخذ التمويل حصة كبيرة من نقاش جلسة ما قبل الظهر التي استكملت في ساعات بعد الظهر، وكان المتحدث الأساسي فيها وزير المالية غازي وزني. حصر الأخير طرق تمويل البطاقة المقدرة كلفتها بمليار و235 مليون دولار (137$ لنحو 700 ألف أسرة شهرياً)، بمصدرين يكمل أحدهما الآخر: قروض البنك الدولي ومصرف لبنان. وإذا ما أضيف الى المبلغ 246 مليون دولار، قيمة قرض البنك الدولي لمصلحة برنامج دعم شبكة الأمان الاجتماعي، وجرى تخفيضها الى 193,6 مليون دولار بعد حسم بعض المصاريف؛ و53,4 مليون دولار قيمة برنامج الشؤون الاجتماعية للعائلات الأكثر فقراً، يصبح المجموع كله ملياراً و482 مليون دولار. الحل الأنسب لتأمين المبلغ على ما أجمع الحاضرون هو الاقتراح باستخدام قروض البنك الدولي غير المستعملة والتي قدّرت قيمتها بمليار و860 مليون دولار. وقال وزني إن 300 مليون دولار من هذا المبلغ مؤمنة (سيتم استعمال قرض الباص السريع) مع استعداد البنك الدولي لزيادتها لتصل الى 400 مليون دولار، وإبداء استعداده أيضاً لتأمين قرض جديد للبنان، إضافة الى 235 مليوناً مؤمنة سلفاً، على أن يعمد مصرف لبنان الى سدّ التعثّر، الأمر الذي ليس متوفراً حتى الساعة. في موازاة كلام وزني، تشير مصادر نيابية الى أن ثمة قروضاً خاصة بمشاريع مموّلة من البنك الدولي لا يمكن وضعها بتصرّف البطاقة لأنه بدأ العمل بها. لذلك تمحور النقاش حول الاكتفاء بالمبلغ المتوفر إن كان 300 مليون دولار أو 400 مليون أو 700 مليون دولار وتحديد عدد الأسر المستفيدة وفقاً له، بما يعني خفضها عن الـ 750 ألف عائلة. كذلك تطرق الحديث على ما ذكره تكتّل «لبنان القوي» الى اقتراح القانون الذي تقدّم به بشأن البطاقة، لجهة إعطاء كل مودع 100$ من حسابه واستثنائه من الاستفادة من البطاقة، في حين اقترح آخرون أن يستثنى كل من يستفيد من تعميم مصرف لبنان بشأن إعطاء 400$ لكل مودع شهرياً من حسابه وما قيمته 400 دولار بالليرة اللبنانية وفقاً لسعر صرف 12 ألف ليرة للدولار الواحد. أتى هذا الاقتراح الذي تحمّس له الجميع تحت عنوان: «يلّي عم ياخد دولارات مش بحاجة... فضلاً عن أن لا مشكلة لمصرف لبنان في الصرف من هذا الباب وسيقوم باستخدام الاحتياطي من دون أي تشريع ملزم»، علماً بأن ما يعطى للمودع أصلاً ليس إلا ماله الخاص المحجوز من قبل المصارف، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يسمى تعويضاً أو دعماً!

من جهة أخرى، تحفّظ وزير المالية على منح بطاقة دعم للمستفيدين من برامج أخرى، معلّلاً موقفه بضرورة إعطاء من لا يستفيد من أيّ برنامج، ثم يتم البحث بوضع هؤلاء إذا كان التمويل متوفراً. ما سبق ليس المشكلة الأساسية، طالما أن المجتمعين، بمن فيهم وزير الشؤون الاجتماعية، لا يمتلكون بيانات واضحة حول الأسر وفئاتها وعمدوا يوم أمس الى غربلة أفكارهم حول الآلية الأفضل لتحديد الأسر. هنا اقترح وزير الاقتصاد راوول نعمة البدء من الصفر طالما أن وزير الشؤون يقول إن عدد الأسر المتوفر في البيانات الخاصة بوزارته لا يتعدّى المئتَي ألف وبحاجة الى «فلترة». وفكرة نعمة تقوم على استحداث تطبيق مشابه لتطبيق التسجيل لنيل اللقاح، مع تحديد قائمة معلومات ضرورية لوضع البيانات، ولن تحتاج إلى فترة طويلة برأيه، علماً بأن موقف التيار الوطني الحر يقضي بوضع البطاقة بمتناول الجميع على اعتبار أن قسماً غير قليل لن يتقدّم للحصول عليها. وهذا الطرح سبق لحاكم مصرف لبنان أن اقترحه عند إثارة حكومة دياب بطاقة الدعم منذ مطلع العام الجاري.

مال معظم المجتمعين نحو استثناء كل مودع من برنامج البطاقة مقابل دفع 100$ لهم من حساباتهم الخاصة! (هيثم الموسوي)

تقرير

قرار «الشورى»: فرصة لإنهاء الاستنسابية في «الخلوي»؟

قرار مجلس الشورى وقف تنفيذ قرار السماح لشركتَي الخلوي بدفع النفقات التشغيلية قبل تحويل إيراداتهما إلى الخزينة يمكن أن يكون فرصة لوقف الاستنسابية في الدفع للموردين. ولذلك، على وزارتَي الاتصالات والمالية المبادرة إلى وضع آلية موحّدة للدفع، كي لا تتكرر تجارب انسحاب شركات متعاقدة مع شركتَي الخلوي. فبعد انسحاب الشركة المعنية بخدمات الاتصالات، ها هي شركة التنظيفات تتحضّر للحاق بها، بعد إصرار «تاتش» على إعطائها 20 في المئة فقط من مستحقاتها بالدولار الوهمي المحجوز في المصارف (اللولار)

إيلي الفرزلي

بخلاف ما توحي به وزارة الاتصالات، فإن قرار مجلس شورى الدولة وقف تنفيذ قرار وزيرَي الاتصالات والمالية، الذي يسمح لشركتَي الخلوي بتحويل الأموال إلى «الاتصالات» بعد حسم الرواتب والمصاريف التشغيلية، قد يكون فرصة لإنهاء الفوضى التي تسيطر على عمليات الدفع للموردين لا العكس. فالقرار يعني تلقائياً العودة إلى تنفيذ المادة 37 من قانون الموازنة لعام 2020، والذي تعتبره الوزارة غير قابل للتطبيق. لكن مع ذلك، تؤكد مصادر معنية أن سحب صلاحية الدفع من يد الشركتين ونقلها إلى وزيرَي الاتصالات والمالية، يمكن أن يؤسّسا لمعالجة شاملة لملف المدفوعات المترتبة على شركتَي الخلوي، بما يُنهي الفوضى في التعامل مع الموردين. وبطبيعة الحال، إذا كان القرار السياسي متوفراً، فلن يكون صعباً إصدار قرار استثنائي يوقّعه رئيسا الجمهورية والحكومة ووزيرا «المالية» و«الاتصالات»، وينصّ على آلية تتوافق مع القانون. بعد قرار «الشورى»، سيكون هذا الخيار الوحيد المتاح أمام الوزارة والشركتين، إذا أرادتا تسديد مستحقات الموردين، ولا سيما للمتعاقدين مع شركة «تاتش» التي لم تسدد أموالهم منذ أكثر من سنة. على كل شركة أن ترسل إلى وزارة الاتصالات رسالة تشرح فيها ما عليها من التزامات، وعلى الأخيرة أن تنسّق مع وزارة المالية للاتفاق على آلية دفع موحّدة. ما يحصل اليوم هو العكس. الفوضى هي المسيطرة. كل مدير يسعى إلى تمرير دفعات الشركة التي «تخصّه» بالدولار النقدي إن أمكن، أو بالدولار البنكي، وصولاً إلى قسمة المستحقات لأجزاء يُدفع جزء منها بـ«اللولار» والجزء الآخر بالليرة. النسبة هذه تختلف أيضاً بين مورّد وآخر، تبعاً للعلاقات الشخصية أو الحزبية أو المالية.

لكنّ هذا النمط بدأ بتطفيش الشركات المتعاقدة مع شركتَي الخلوي. أوّل الشركات المنسحبة كانت شركة TelePerformance (تابعة لـ«فتّال» غروب) المسؤولة عن مركز الاتصالات في «تاتش». العاملون في تلك الشركة كانوا يتقاضون رواتبهم على سعر 1500 ليرة للدولار، فيما موظفو «تاتش» يحصلون عليها بالدولار. وعندما طلبت تعديل العقد تأميناً للمساواة بين العاملين في المركز نفسه، رفضت «تاتش» ذلك، مشيرة إلى أنه لا يمكن تعديل العقد إلا في حال إجراء مناقصة جديدة. عندها أعلنت الشركة انسحابها، وفي الوقت نفسه أطلقت «ميك 2» المناقصة. لكن، لأن التركيبات لم تتغير، مرّت ثلاثة أشهر على إطلاق المناقصة من دون البتّ فيها، بعدما اعترض أحد المشاركين على غياب العدالة في التقييم وبعدما تأكدت المديرة العامة للشركة حياة يوسف من ذلك، إثر تكليفها لجنتين للتأكد من صحة نتيجة فضّ العرض التقني.

الخلاف نفسه تكرّر مع شركة Cplus المعنية بخدمات التنظيف. الشركة تلك تعمل في «تاتش» منذ سنوات طويلة، كانت تتقاضى أجرها بالدولار، نهاية كل شهر. لكنها، كمعظم الموردين المتعاقدين مع

الشركة، لم تحصل على مستحقاتها منذ عام 2019، لأسباب تتعلق بالسعي إلى تقديم أرقام غير واقعية للإيرادات المحوّلة إلى وزارة الاتصالات. منذ ذلك الحين، تتفاوض شركة التنظيفات مع «تاتش» للحصول على مستحقّاتها بالعملة المتفق عليها من دون جدوى، بالرغم من تقديمها كل الإثباتات التي تؤكد أن أغلب مدفوعاتها بالدولار النقدي، إذ أن معظم عمالها من جنسيات أجنبية وكانوا يتقاضون أموالهم بالدولار، قبل أن يتم الاتفاق معهم لاحقاً على تقسيم الراتب بين الدولار النقدي والليرة، أضف إلى ذلك أن كل أدوات التنظيف والماكينات تُسعّر بالدولار، لكن ذلك لم يؤدّ إلى أي نتيجة. العمال أنفسهم، ولا سيّما اللبنانيون منهم، سبق أن طالبوا بمساواتهم بموظفي شركة «تاتش»، الذين يتقاضون رواتب بالدولار المصرفي، لكن دون جدوى. ولذلك، أضرب عمالها السبعون عن العمل لمدة يومين، كانا كافيين لانتشار النفايات في مراكز الشركة. المشكلة الأساس بحسب مصادر في «تاتش» أن الإدارة نفسها لا تعرف ماذا تريد. سبق أن أرسلت إلى الشركة كتاباً توافق فيه على دفع مستحقاتها المتراكمة والمقدّرة بمليون دولار، عبر طريقة الدفع التالية: 65 في المئة بالدولار المصرفي، و35 في المئة بالليرة اللبنانية حسب السعر الرسمي. ثم عادت وتراجعت، لتقسم النسبة بين العملتين مناصفة، قبل أن تتراجع مجدداً فتصل حالياً إلى 20 في المئة بالدولار المصرفي فقط مقابل عشرين في المئة بالليرة وفق سعر الصرف الرسمي. الحجة كانت أن وزارة الاتصالات لم توافق سوى على الاقتراح الأخير، علماً أنه حتى عندما وافقت الشركة على قبض الجزء الذي بالدولار لتسيير أعمالها، على أن تتابع وفق الآليات القانونية المطالبة بما تعتبره حقاً لها، طُلب منها التوقيع على مستند يؤكد أنها توافق على تسلّم أموالها كاملة بالليرة اللبنانية على السعر الرسمي، على أن يكون 20 في المئة من هذا المبلغ، ضمناً، بـ«اللولار»، فرفضت.

> «تاتش» توافق على دفع 65 في المئة من مستحقات Cplus باللولار ثم تتراجع

في المقابل، رفضت إدارة Cplus التعليق على هذه المعلومات، معتبرة أن الأمور في طور الحل مع «تاتش» ومع وزارة الاتصالات. كما رفضت التعليق على الأخبار المتداولة عن طلبها وقف العقد. لكن ما يؤكد صحة ذلك هو إطلاق «تاتش» مناقصة خاصة بخدمات التنظيف. فبحسب العقد الذي يُجدد كل ثلاثة أشهر، يحقّ لأي طرف وقفه، بمجرد تقديمه إنذاراً للطرف الآخر قبل عشرة أيام. المناقصة أُطلقت في 12 أيار الماضي، وكان مفترضاً أن تُقفل في العاشر من حزيران الحالي، لكنها مُددت حتى 22 الحالي، بعدما لم يتقدّم إليها إلا عارضٌ وحيد. علماً أن أكثر من عارض سبق أن حاولوا المشاركة في المناقصة من دون أن يُسمح لهم بذلك بحجج مختلفة.

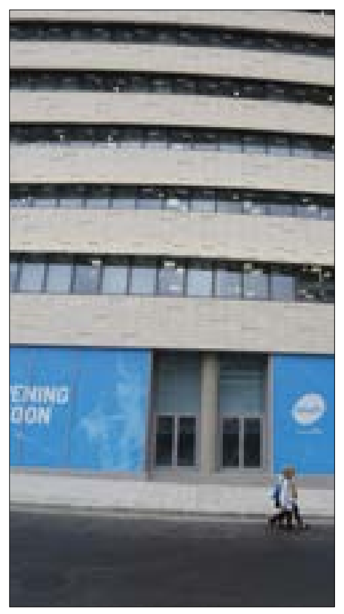

«تاتش» تطلق مناقصة لتأمين خدمات التنظيفات قبل حسم الخلاف مع الشركة الحالية (أرشيف)

وجهة نظر

التجييش الطائفيّ يضاعف من استسلام اللبنانيين

هيام القصيفي

في «مأوى جبل لبنان للكلاب المعرّضة لاعتداءات»، تقف «الحمارة» سكارليت وصغيرها الذي وضعته حديثاً، غير عابئة بأزمات البنزين، وغير عارفة بأن اللبنانيين بدأوا يطلقون النكات ويتداولون الصور حول بني جنسها، بعد كلام وزير الطاقة ريمون غجر. وعلى الطريق من بيروت إلى البقاع، ومن بيروت إلى الجنوب والشمال يقف ما لا يقلّ عن نصف مليون لبناني كل يوم في الشمس، ومنذ الصباح الباكر، على مئات محطات المحروقات، أملاً بالفوز بنصف صفيحة بنزين. 500 ألف لبناني «يشحذون» البنزين، من دون أي اعتراض، يحملون هواتفهم الذكية ويطلقون النكات حول وضعهم المأساوي. كمية النكات والصور التي تم تداولها في الأيام الماضية، لا سيما بعد كلام غجر من مجلس النواب صارت ممجوجة، لدرجة لا توصف. إذ إن وضع اللبنانيين المعترضين لا يبدو مأساوياً إلى الحد الذي يجعلهم يشكلون حالة عصيان مدني بالحد الأدنى، فيقطعون بسياراتهم الفارغة من البنزين طرق بيروت والجبل والشمال والجنوب.

يستذكر أحد السياسيين المخضرمين الوضع اللبناني قبل حرب عام 1975، حين كان لبنان يغلي بين حركات اليسار واليمين، والتحركات الطالبية والجامعية والتظاهرات العمالية (التي لا تشبه بشيء تظاهرة الاتحاد العمالي الأخيرة) ورفع الشعارات ضد السلطة القائمة التي جرى التعبير عنها بشعارات أحياناً ضد المارونية السياسية وأحياناً ضد السلطة بكامل قواها. وتزامنت هذه التحركات مع الانتفاضات الطالبية في فرنسا وحراك أوروبي، وفورة عربية وفلسطينية، على وقع توترات إقليمية بين حربَي 1967 و1973 وغليان في دول المنطقة الذي قمعته أنظمتها الديكتاتورية. لكنه انفجر في لبنان عام 1975 على شكل حرب. فتغيّر المشهد الاحتجاجي الذي جرى التعبير عنه بتظاهرات وصدامات، ليذوب الحراك الشعبي في صراعات طائفية ومذهبية على مساحة كل لبنان، بين كل الطوائف والمذاهب من دون استثناء.

منذ صيف عام 2019، تفاعلت إشارات الغليان في بيروت، وسط تصاعد التحذيرات من الانهيار الاقتصادي الذي يُقبل عليه لبنان، وسط اللامبالاة من السلطات المتعاقبة. وحين بدأ أول ملامح الأزمة الاقتصادية، وقبل أن تستفحل في التظاهرات الشعبية، وما لحقها من انهيار في العملة اللبنانية، بدا أول ملامح الحراك اللاطائفي واللاقبلي. فجرى التعامل مع اقتراح فرض ضريبة على الـ«واتساب» على أنها شأن حيوي. وهذا أمر خرج في بعض أوجهه عن تحكّم القوى السياسية برقاب الناس الذين تفلّتوا جزئياً من كادر الأحزاب والطوائف، وأعطى ملامح إيجابية طفيفة سرعان ما اختفت. لكنّ المفارقة أنّ الانهيار التالي، إنْ في قيمة الرواتب وحجز المصارف أموال المودعين أو ارتفاع أسعار السلع وفقدان الأدوية، وكلها قضايا كبرى على المستويات الحياتية والاقتصادية والاجتماعية، لم تتحوّل شأناً عاماً. وجاءت أزمة البنزين لتجعل السؤال الأكثر تداولاً: لماذا لا يتحرك اللبنانيون ضد ما يجري؟ وهل يكفي أن بعضهم قادر على «تدبير» صفيحة بنزين بـ«الواسطة» أو بدفع كلفة إضافية، لمنع الانفلات الغرائزي؟ ولماذا لا تتحول قضية حليب الأطفال أو فقدان مستلزمات غسيل الكُلى والبنج والطعام قضية قادرة على تحريك الرأي العام؟ ولماذا لا يستمع أحد إلى شهادات المؤسسات الفاعلة في المجال الاجتماعي، من دون تزييف، عمّا يحصل في المنازل وكيف تدهورت أوضاع العائلات في تفاصيل الحياة اليومية؟ وإلى أي مدى يمكن أن تعود مشاهد الحرب بوجهها الاجتماعي في تعبئة غالونات البنزين والمياه وتهريب الخبز وتشغيل بطاريات السيارات للإضاءة وغيرها من اختراعات الحرب، من دون أي ردة فعل رافضة؟ هذه الأسئلة يطرحها باحثون وسياسيون، وهي تستدعي فتح النقاش الجدي، لأن لا أجوبة «علمية» يمكن الخروج بها عن حالة الخدر التي يمر بها اللبنانيون، فلا تصبح ردة الفعل على مآسيهم جماعية. المشهد الحقيقي هو حالة الفقر لا حالة الحجوزات إلى قبرص وأوروبا ولا عودة الحياة إلى المطاعم والمسابح، وما ينفقه بعض العائدين من الاغتراب. ما ظهر حتى الآن أن اللعب على وتر المساعدات بعد انفجار المرفأ، التي أمّنتها القوى السياسية والجهات الدينية، أعاد الناس إلى القبلية والطائفية، وعادت الأحزاب تتحكّم بإدارة «مناطقها وناسها»، إنْ عبر المؤسسات الدينية أو عبر القنوات الحزبية. لكن ما زاد من حجم الارتداد الطائفي والمذهبي، الشحن السياسي بشأن قضايا مفصلية، فتعمّقت المشكلة الاجتماعية الممزوجة بالمشكلة البنيوية للنظام في حالته الحاضرة. فلم يعد ممكناً الكلام عن حلول خارج منطق إيجاد حلول جذرية للنظام، ومعه معالجة الانبعاث المتجدّد للحالة الطائفية المتمثلة تحديداً بهذا الاستسلام إلى قيادات سياسية ومالية، رغم إمعانها في تهشيم حياة اللبنانيين، فيصبح التجييش الطائفي أهم من الحصول على دواء وخبز وبنزين.

> هل يمكن الرهان على تغيير جوهري في نتائج الانتخابات النيابية المقبلة ما دام أول اشتباك حادّ جعل الاستنفار الطائفي يصل إلى قمته؟

من هنا تُستكمل مجموعة الأسئلة حول الانتخابات النيابية المقبلة، وإمكانات التغيير فيها. فالانتخابات التي تُترجم منذ أكثر من شهر تحركاً لماكينات الأحزاب، هل تقدر أن تنتج برلماناً مغايراً عن الموجود؟ وهل يمكن الرهان على مجلس نواب خارج إطار المنظومة الحالية، ما دام أول اشتباك حادّ جعل الاستنفار الطائفي يصل إلى قمته؟ ومن يعرف أمنياً ما حصل من اتصالات في الساعات التي سبقت يوم الخميس الماضي وتلته، يدرك حجم التجييش الطائفي وأهمية المحاولات التي جرت لاحتواء مبكر لتوتير الوضع ميدانياً في مناطق حسّاسة.

في الواجهة

عون - برّي: الجولة المتأخّرة خمس سنوات

ماكان مفاجئاً في حرب الردود بين الرئيسين ميشال عون ونبيه برّي ليس فحواها ونبرتها وأسلوب تخاطبهما المتوقّعة والطبيعية لمن يعرفهما، بل توقيتها المتأخر جداً وانتظارها الى الآن كي تنفجر مباشرة، بلا وسطاء ولا مداورة ولا اقنعة

نقولا ناصيف

على مرّ أربعة عقود في عمريهما، وكلاهما تمرّس طويلاً خلالها في القيادتين العسكرية والسياسية، قلّما كان الرئيسان ميشال عون ونبيه برّي على تماس مباشر

لم يكن عون وبرّي على تماس إبان الحرب، مقدار حربهما في زمن السلم

وصدام حتمي. الثاني سبق الأول إلى المعترك عندما دخله عام 1980 على رأس حركة أمل، ثم تلاه بعد أربع سنوات الثاني مذ ترأس قيادة الجيش عام 1984. إذّاك أصبحا في الصفّ الأمامي.

في سنّي الحرب اللبنانية وجولاتها، كان عون على تماس عسكري مع وليد جنبلاط في معارك الجبل، ومع القوات اللبنانية في المناطق الشرقية، ومن ثم مع القوات السورية على خطوط المواجهة، بينما خطوط التماس العسكري لبرّي كانت مع القوات اللبنانية ما بين المناطق الفاصلة، ومع جنبلاط و«المرابطون» والمخيمات الفلسطينية داخل المنطقة نفسها، ومع الجيش (إبان قيادة العماد ابراهيم طنوس)، وصولاً إلى النزاع مع حزب الله. عندما قاتل المخيمات الفلسطينية حارب اللواء السادس في الجيش إلى جانب أمل، بمعرفة قيادة عون التي مدّت اللواء السادس بالسلاح والعتاد، مع أن برّي كان قد مال عام 1984 إلى خيار جنبلاط تسمية إميل لحود وليس عون قبل أن يُسلّم ندّه بعد 27 عاماً بأن لا يُنتخب رئيساً للجمهورية إلا في ظلّ الاتفاق الذي أهدر في مقاومته هذا الوقت.

بعد اتفاق الطائف ومن ثم إطاحة حكومته عام 1990، سافر عون إلى منفاه الفرنسي السنة التالية، واضحى برّي عام 1992 رئيساً لمجلس النواب. مذّاك باتا - إلى جنبلاط أقدمهما منذ صعوده عام 1977 - في قلب المعادلة السياسية، لا يتزحزح أيّ منهم. يجمع ما بين عون وجنبلاط ما يفرّقهما عن برّي: الأولان يستمدان قوتهما من وجودهما خارج السلطة، ويتغذيان من الحروب والعداوات ويتلذذان بالمواجهات، ويصبحان حليف الحليف حليفاً. في انتخابات جزّين عام 2009 كانت المواجهة الأولى، عندما تمكّن عون من انتزاع مقاعدها الثلاثة للمرة الأولى منذ عام 1992 من برّي، وعدّ الأخير إياها خسارة جسيمة هي الأولى له، هو الذي لم يعتد الهزائم في عقر داره في الجنوب. بعد اتفاق الدوحة عام 2008 كانا معاً في تحالف 8 آذار. من دون موافقة عون كان من المتعذّر انتخاب قائد الجيش العماد ميشال سليمان رئيساً للجمهورية، آخر نتازل قدّمه حينذاك. ما لا يقتضي نكرانه أن الرجل، من دون حزب الله بالذات، كان من الصعب له في كل حكومة تلت اتفاق الدوحة - وهي المرة الأولى يدخل السلطة الإجرائية - أن يحوز الحصة التي صارت له، ويمتلك منذ ذلك الحين الفيتو القوي كالذي بين يدي برّي

صعبي المراس والتفاوض، وتلتف من حوليهما طائفتاهما، بينما ثالثهما يفاقم قوته وجوده داخل الحكم، وهو مغزى أن رئيس حركة أمل احتاج إلى جنبلاط كي ينتصر في الضاحية الجنوبية وبيروت عام 1984، وإلى اللواء السادس كي ينتصر في حرب المخيمات عام 1988. ما إن أصبح رئيساً للبرلمان، بمرور سنوات قليلة، أضحى المرجع غير المستغنى عنه في الخلافات الداخلية ومفتي الحلول.

بعد عودة عون من منفاه عام 2005 وصعوده السياسي، وصولاً إلى فاتحة أول افتراق بينهما، لا يُعثر في زمن السلم على تماس سياسي بينهما. قلّل حظوظ الاختلاف انفصال عون عن قوى 14 آذار وتحالفه مع حزب الله. بذلك أقاما في شبه تحالف ما دام وجنبلاط وحزب الله والرئيس سعد الحريري. بات العضو الجديد في النادي الذي أنشأه السوريون في عقد التسعينيات ولا يزال مستمراً من دونهم.

منذ أرغمت سوريا على إخراج جيشها من لبنان عام 2005، انتقل دوراها السياسي والعسكري إلى الثنائي الشيعي. بدا الانطباع الأول أن الدور الموروث هذا انتقل إلى حزب الله وحده بفضل فائض قوته، بيد أن واقع ما حدث وتوالى السنوات مذّاك بيّن أن الثنائي الشيعي تقاسَمَ المحافظة على المعادلة القائمة منذ الحقبة السورية المنقضية: حزب الله مرجعيتها العسكرية والأمنية في موازاة برّي رئيس البرلمان مرجعيتها السياسية. ليس خافياً أن برّي مذّاك، وعلى نحو أكثر وضوحاً ما بعد 7 أيار 2008 - وكان شريكاً فعلياً فيه على الأرض - ومن ثم اتفاق الدوحة إلى اليوم، يمثّل المرجعية التي يلوذ بها ثلاثي التسعينيات الذي غالباً ما احتاج إلى مظلة دمشق للحفاظ على مصالحه ومكاسبه وحصصه في النظام، كل على طريقته: الحريري، جنبلاط، سليمان فرنجية. يصعب الآن على أي من هؤلاء اتخاذ قرار لا يُستفتى به برّي، أو يُسال عنه. لا موقع متقدماً لأي منهم - وإن بما يمثلون وما يمثلون - يحوزونه من دون أن يكون وراءه. مع أن كلاً من الحريري وجنبلاط هو الأول في طائفته، يبدو هذا الامتياز غير كافٍ لهما كي يفرضا شروطهما.

كان من الصعب اكتشاف وطأة التناقض ما بين برّي وعون إلى أن اختفى تماماً تحالفا 8 و14 آذار. شأن ما فعل ثلاثي الحريري - جنبلاط - فرنجية عندما لاذ ببرّي، اختار عون المقلب الآخر في الثنائي الشيعي. لذا بات حتمياً انفجار خلاف الرجلين يوم أوشك عون على أن يصبح رئيساً للجمهورية. مع أن البعض الذي رافق الجلسات الـ45 التي لم تنعقد لانتخاب الرئيس ما بين نيسان 2014 وأيلول 2016، ولاحظ أن نواب برّي كانوا يحضرون ما راح يقاطعه نواب حزب الله، وغمزي ذلك إلى تقاسم أدوار داخل الثنائي، إلا أنه أبرز ما سيتبدّى لاحقاً ويسجّل السابقة.

لم يسبق في انتخابات رئاسة الجمهورية أن لا يكتفي رئيس البرلمان بعدم تأييد انتخاب مرشح هو الذي سيُنتخب، في الغالب يكون عزّابه، بل في عدم التصويت له وكتلته حتى. السابقة هذه قادت إلى آخرى مكملة لها في 31 تشرين الأول 2016 قضت بانتخاب الرئيس من الجولة الرابعة من الاقتراع. حينذاك نُقل عن برّي ما بات يتردد باستمرار كلما تدهورت علاقة الرجلين، أنه يريد انتخاب رئيس لا أثنين.

عندما يتبادل الرئيسان، الثلاثاء والأربعاء المنصرمين (15 حزيران و16 منه)، ذلك السجال الدستوري حيال صلاحيات رئيس الجمهورية بإزاء تأليف الحكومة، قبل أن ينقضي شهر على جلسة تلاوة رسالة عون (21 أيار) التي كسرت ما بينهما جدار الصمت والتحفظ، فإنهما ينبئان سلفاً بأن الأشهر المقبلة من العهد ستحجب كل الوجوه الأخرى، من أجل أن يربح أحدهما - وهو ما ينطبق على كليهما - المعركة التي تأخّرت خمس سنوات، وكان من المفترض أنها بدأت في اليوم الأول.

برّي تحوّل ملاذ ثالثي الحريري - جنبلاط - فرنجية (هيثم الموسوي)

تقرير

كتاب وزيرة العدل إلى دياب: بتّ مصير سلامة ضروريّ وواجب

يحمل الكتاب الذي وجّهته وزيرة العدل، ماري كلود نجم، إلى رئيس حكومة تصريف الأعمال حسّان دياب، الرقم 1287/3 وموضوعه «وضع المصرف المركزي والتحقيقات القضائية المحلّية والدولية بحقّ حاكم المصرف المركزي». وفي هذا الكتاب الذي نشرت «الأخبار» معلومات عنه في عددها الصادر يوم الخميس الفائت (17 حزيران 2021)، تشير نجم إلى أن سلامة موضع شبهات في سويسرا وفرنسا، وإلى أن النيابة العامة التمييزية في لبنان فتحت تحقيقاً بشأن الشبهات المساقة بحقّ الحاكم، وطلبت تجميد أمواله في سويسرا وفرنسا وألمانيا. وعلمت «الأخبار» بأن رئاسة الحكومة حوّلت كتاب نجم إلى كلّ من وزارة المالية والنيابة العامة التمييزية، طالبةً رأيهما في مضمونه.

وفي ما يلي، نصّ كتاب نجم:

لاتخاذ الإجراءات اللازمة بحقّ الحاكم حفاظاً على سلامة النقد

الأموال واختلاس الأموال العمومية والتهرّب الضريبي والتزوير واستعمال المزوّر والإثراء غير المشروع، وطلبت من السلطات القضائية في كلّ من سويسرا وفرنسا وألمانيا تجميد أمواله الموجودة لديها وذلك كتدبير احترازي.

وبما أنّ هذا الواقع بات يُظلّل أداء حاكم المصرف المركزي باعتبار أنّ تلك الشُبهات المتعدّدة المصادر ـ وبمعزل عن مدى صحّتها من عدمه، الأمر الذي يعود للقضاء بتّه ـ جاءت في معرض ممارسة الحاكم لوظيفته، وهي وظيفة حسّاسة تفرض أن يكون صاحبها مُنزّهاً من أي شُبهة أو اتهام وأن يوحي بالثقة للداخل والخارج، ولا سيما أنّ الواقع المالي اللبناني المتدهور هو بأمسّ الحاجة إلى ثقة في الأداء وصدقية في الالتزام وشفافية في اتخاذ القرار.

وبما أنّه والحال هذه، يقتضي البحث في الوضع الراهن للمصرف المركزي في ضوء الواقع المالي المُتردّي وفي استمرار حاكم المصرف المركزي في وظيفته في ظلّ وجود شبهات جدّية وخطيرة ومتعدّدة المصادر بحقّه، محلّياً ودولياً، وبما أنّ الواقع المعروض أعلاه يتّصف بطابع العجلة والضرورة الذي يُحتّم على السلطة التنفيذية حتّى في ظلّ حكومة تصريف أعمال اتخاذ الإجراءات اللازمة حفاظاً على سلامة النقد الوطني من المزيد من الانهيار وحفاظاً على سمعة الدولة وهيبتها، صوناً للمصلحة العامة، بناءً على ما تقدّم،

للتفضّل بالاطلاع وإجراء المقتضى المُلائم تبعاً للضرورة الموجبة، مع اقتراح دعوة مجلس الوزراء إلى الانعقاد للبحث في الوضع المعروض أعلاه في ضوء أحكام قانون النقد والتسليف وسائر النصوص القانونية ذات الصلة، وإلّا إجراء المقتضى الملائم لاتخاذ ما يستلزمه هذا الوضع من إجراءات وتدابير في ضوء الأحكام القانونية المذكورة.

بيروت في 11 حزيران 2021
وزيرة العدل، ماري كلود نجم

مقالة

«الغاز الإسرائيلي» والحدّ البحري... وسلاح حزب الله [3/3]

يحيى دبوق

سلاح حزب الله جزء لا يتجزأ من العوامل التي تؤثر في توجهات «إسرائيل» وقراراتها إزاء الساحة اللبنانية، بل إنه أكثر تلك العوامل أهمية. ليس حصراً في أنه يفرض معادلات وقواعد اشتباك تمتنع تل أبيب بموجبها عن المقاربة العسكرية وفي حدٍ بعيد الأمنية، بل ينسحب كذلك إلى كل ما يتعلّق بالساحة اللبنانية وامتداداتها.

«النزاع» على الحدود البحرية، والثروة الغازية الكامنة من تحتها وعلى جوانبها، جزء من هذه الساحة. وإنْ كانت المعادلة الردعية القائمة على وجود سلاح حزب الله وإرادة استخدامه إن لزم الأمر، هي التي تفرض على «إسرائيل» الانكباح والامتناع عن أي مقاربة متطرفة، فالأولى أن تكون كذلك، بل أشد وأكثر تأكيداً، بما يتعلق بـ«خلاف الحدود والغاز» الذي يدرك العدو أن تأثيراته لا تقتصر عليه في ذاته، بل تمتد لتؤثر في مجمل المسائل «العالقة» بين لبنان والعدو. فقطاع الغاز وما يرتبط به، لا يتحمل جولات تصعيد، مهما صغرت أو كبرت.

وكما ورد ذكره، لا تقوى «إسرائيل» على تحمل تبعات أي تصعيد يتعلق بقطاع الغاز في مواجهة لبنان، بصرف النظر عن قدرتها هي على إيذاء لبنان. المقصود هنا، هو تدخل حزب الله، بوصفه مقاومة مسلحة، لمواجهة «إسرائيل» بما يشمل المواقف التهديدية التي يمكن أن تصدر عنها، فضلاً عن التلويح بقرارات استخدام القوة العسكرية، وكذلك محاولة قضم الحق اللبناني الحدودي والغازي من طرف واحد. وما بين الموقف التهديدي الكلامي المجرد، والتصعيد العسكري الشامل، خطوة تصعيدية ما، لا يمكن للجانبين إمساكها ومنعها من الانزلاق إلى مواجهة «غازية» عسكرية مرشحة بدورها، وهي كذلك، إلى التسبب بمواجهة عسكرية شاملة.

على ذلك، وغيره من الأسباب المساقة في الجزءين الأولين من هذا البحث، تعمل «إسرائيل» على إيجاد حل ما يمنع التصعيد، بكل أشكاله، بين الجانبين. المقصود ليس حصراً ما يتعلق بمواجهة عسكرية تضر بكل ما يرتبط بقطاع الغاز الإسرائيلي، وهو قطاع واعد جداً واستراتيجي جداً لتل أبيب كما سلف ذكره، بل أيضاً ما يتعلق بمجرد إطلاق تهديدات كلامية تصدر من هنا وهناك. وما تقدّم يشمل العدو أيضاً، إلى حد «اختفاء» السرديات الإعلامية التي تذكّر بإمكانات حزب الله العسكرية وقدرته على إيذاء هذا القطاع، سواء جاءت السردية لتتناول حالة التصعيد النقطوي، أو الأيام القتالية المحدودة، أو تلك المتعلقة أيضاً بالمواجهة الشاملة بين الطرفين.

هذه هي القاعدة التي تبني عليها «إسرائيل» قراراتها وأفعالها، بما يشمل تصريحات مسؤوليها وتقارير إعلامها الذي يتقيّد - في هذه الحالة المرفوعة في أهميتها إلى مستويات استراتيجية تمسّ أمن «إسرائيل» ومقوّماتها - بقرارات وتوجيهات عليا لخدمة هذه التوجهات. والحل، كما تعمل تل أبيب عليه، يتلخص بالآتي:

1- امتناع «إسرائيل» عن أيّ مقاربة عسكرية أو أمنية، أو التهديد بها، لفرض الإرادة على الجانب اللبناني، بكل ما يتعلق بالحدود البحرية والثروة الغازية التي تدعي حقاً فيها. امتناع يكاد يكون مطلقاً، بل إن فرضياته وسيناريوهاته شبه مغيبة عن التقارير الإعلامية العبرية، فضلاً عن تصريحات ومواقف مسؤولي العدو. وهذه الضابطة حاكمة ومفعّلة وصلبة جداً. في كل ما يصدر عن «إسرائيل» من مواقف وتحليلات وتعليقات ودراسات، حتى تلك المتعلقة بالمواجهة العسكرية الشاملة بين الجانبين، وهي الفرضية الأكثر تطرفاً. وعادة ما يتم تداولها وتكون موضوعاً للتداول والتعليق والبحث في الإعلام العبري. وتبدو الأمور، لهذه الناحية، كأنّ المنشآت الغازية والقطاع الغازي، بعيدة عن ساحة المواجهات بين حزب الله والعدو. وهذه المفارقة تستأهل التأمل والمتابعة.

وتحرص «إسرائيل» على الامتناع عن إطلاق التهديدات بكل ما يتعلق بالحد البحري والغاز، حتى وإنْ أفقدها واحداً من أهم أسلحتها التي تلجأ إليها عادة في مواجهة أعدائها لردعهم عن الإضرار بها. وهذا الامتناع قائم وراسخ، رغم أنها معنية بإطلاق التهديدات والتلويح بها، وهو ما يتوافق مع توجهاتها و«طبيعتها» ويعزز من أوراقها التفاوضية مع لبنان، في مقابل إضعاف أوراق المفاوض اللبناني.

2- مقابل الامتناع عن التهديد والخيارات العسكرية، بل والامتناع عن مجرد ذكرهما، وإنْ عبر فرضيات تكاد تكون مغيّبة في «إسرائيل»، تؤكد تل أبيب وجوب اتباع مسار «الحلول التسووية والتنازلات المتبادلة، بوصفها الحل الأمثل والأوحد والأكثر إفادة للجانبين، بكل ما يتعلق بالخلاف البحري». والتسوية المطلوبة هنا، حسبما تؤكد تل أبيب، تلزمها بالاستعداد للتنازل للبنان، شرط أن تتلقى تنازلاً مقابلاً، يؤدي إلى التسوية المنشودة. وعلى هذه الخلفيةً، تسهّل إجراء المفاوضات وتطلبها وتعمل لأجلها، سواء تلك غير المباشرة بحلتها القديمة بدءاً من عام 2009، أو تلك القائمة بالحلة الجديدة منذ خريف العام الماضي.

بقاء المفاوضات، من دون إعلان موتها، يحقّق لـ«إسرائيل» فائدة استراتيجية في أكثر من اتجاه ومستوى

في هذه النقطة تحديداً، تحرص «إسرائيل» على جملة ضوابط تفرضها شكلاً ومضموناً وبما يتعلق بهوية الجهة الراعية والوسيطة، كي لا تشكل المفاوضات نفسها عامل ضغط عليها، منعاً لانتهائها بما لا يمكن أن يتوافق مع المصالح الإسرائيلية. وهنا الراعي، كما هو معلوم، هو الراعي الأميركي، الوحيد المقبول إسرائيلياً.

وفي هذه النقطة أيضاً، تحرص «إسرائيل» على تظهير توجهاتها التسووية المعلنة عبر التفاوض، على أنه توجه اختياري مبنيّ على «بادرة طيبة» من جانبها تجاه لبنان، في موازاة الحرص أن لا ينكشف سبب توجهها الرئيسي، وهو الخشية من تداعيات اللامفاوضات على قطاعها الغازي. الحرص هنا يهدف إلى إبعاد فرضيات الرضوخ للتسويات تحت ضغط السلاح والرضوخ لإمكاناته، سواء كان هو السبب في التوجه للتسويات من الأساس، وهو كذلك، أو لم تكن تأثيراته في مستويات دفعها للتنازل.

3- تأكيد الدخول في مفاوضات، مهما كان الموقف اللبناني «متعنتاً وصلباً»، وبحسب تعبيرات إسرائيلية «متفلّتاً»، هو توجّه يؤمل منه تحقيق واحدة من نتيجتين، أو النتيجتين معاً إنْ أمكن: في حال نجاح المفاوضات، وقبول لبنان بالتنازل عن جزء من حقوقه البحرية، تكون «إسرائيل» قد حققت نتيجة تعود بالفائدة الاقتصادية عليها في مستوى أول، بينما في مستوى ثانٍ، تحقق نتيجة مبنية على نجاح المفاوضات والتنازل اللبناني، بأن يؤدي الى تغيير في العلاقة مع الجانب اللبناني الرسمي، لسحب منطق التنازل الذي أبداه في المفاوضات الحدودية على ملفات خلافية أخرى تتعلق بالثروة الغازية والنفطية المرشحة لأن تكون أيضاً موضع خلاف في الحيّز البري بعد المائي، وكذلك الثروة المائية اللبنانية التي هي موضع مطالبة تاريخية لدى العدو، وهو ما ينسحب أيضاً على جملة خلافات على الحدِ البري، الذي تدعي «إسرائيل» حقاً فيه.

في حال فشل المفاوضات، واتجاه الجولات التفاوضية الى المراوحة والتسمير في مكانها بلا نتائج، تعمل «إسرائيل» على القيام بدور الحريص عليها وعلى التمسك بها وتتمنّع عن إعلان إنهائها. حتى وإن قررت تجميد الجولات التفاوضية، كما حصل أخيراً، فتأتي ضمن توجه مقصود مع حرص على العمل على إعادة إحيائها لاحقاً. بقاء المفاوضات، من دون إعلان موتها، يحقق لـ«إسرائيل» فائدة استراتيجية في أكثر من مستوى، إذ من شأن صورة التفاوض، وإنْ كان شكلياً، أن تبعد التهديدات والحديث عنها، وتعزز «أجواء» الحلول والتوجه الى تسويات وما تسمّيه الاستقرار، كما تسبّب بالابتعاد عن تداول فرضيات متطرفة وتهديدات تؤثر سلباً على الثقة بالقطاع الغازي في «إسرائيل»، وكل ما يتعلق به، كما وردت تفصيلاته سابقاً.

في الحالتين، نجاح المفاوضات أو مراوحتها مكانها، هي فائدة لـ«إسرائيل»: نجاح المفاوضات المبنية على التنازل اللبناني (التسوية)، مكسب إسرائيلي وفائدة اقتصادية؛ أما إنْ راوحت المفاوضات مكانها، فتساهم في تحقيق الفائدة الإسرائيلية الأخرى الموازية التي تنشدها: الاستقرار والابتعاد عن التهديدات لزوم التفاوض، ومن ثم إبعاد التأثيرات السيئة للتهديدات لكل ما يتعلق بالقطاع الغازي.

وبخلاف ما يتردد في لبنان عن مرحلة ما بعد التفاوض، وكأنّ الأمور باتت معبّدة أمام قدرة لبنان على استثمار غازه في منطقة الحدود الجنوبية، فإن التنازل المفضي إلى اتفاق مع «إسرائيل»، لا يعني فتح الأبواب على مصراعيها لاستخراج الثروة الغازية جنوباً.

وفقاً لما أثير في ندوة نظمها مركز أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي بشأن ترسيم الحدود البحرية والعلاقات بين الجانبين، يدّعي مسؤولون على اطلاع على ملف التفاوض وحيثياته ومقدماته، أن التسويات التي بدأت تسعى إليها تل أبيب منذ عام 2009، لا تقتصر كغاية نهائية على الحد البحري، بل أيضاً على تقاسم الثروة ضمن هذا الحدِ، وخاصة مع تشابك وتداخل الثروة الغازية على جانبَي الحدود البحرية. وهو ما يؤدي لاحقاً الى مفاوضات في مستوى ثانٍ، تتعلق بكيفية توزيع هذا الثروة، التي لا تتحدد وفقاً لخط الحدود، بل وفقاً للكميات المرصودة للثروة وعمقها وقدرة استخراجها وتسويقها وإمكانات الجانبين المادية في تحصيلها، إضافة الى الحد الجغرافي المتفق عليه كتسوية للحدود، كما هو جار العمل عليه.

المعنى، كما يرد في تصريحات صدرت عن مسؤولي ملف التفاوض في وزارة الطاقة الإسرائيلية، أن التفاوض الحالي غير كاف، بذاته، لإيجاد حل يمكّن لبنان من استخراج ثروته الغازية. والتسوية، في حال التوصل إليها بما يتعلق بالحدود، ضمن هذا الخط أو ذاك، ووفقاً لهذه النسبة أو تلك، هي مجرد مقدمة لمفاوضات لاحقة تتعلق بالثروة نفسها الكامنة تحت الخط المتفق عليه وعلى جانبَيه.

قضية اليوم

زحلة تستعدّ لانتخاب مُطران جديد:

تنافس سياسي على عاصمة الكثلكة

يحظى انتخاب مطران على رأس أبرشية الفرزل وزحلة والبقاع الغربي باهتمام فاتيكاني ومحلي كبيرين لانّ من يجلس على هذا الكرسي يُمسك بالقرار الروحي والاجتماعي، ويؤثر في القرار السياسي في عاصمة الكثلكة. من هذا الباب، استشرس فريقا 8 و14 آذار في دعم مُرشحين، كلٌ لتنفيذ مصلحته، وفي إطار استخدام الكرسي كسلاح لخدمة المصلحة السياسية: المطران عصام درويش يريد ان يأتي من يُكمل مسيرته. تيار المستقبل يطمح إلى الإتيان بمطران مقرّب إلى خطّه تحضيراً للاستحقاقَين النيابي والبلدي المقبلَين

رلى إبراهيم

يوم الاثنين المقبل، ينعقد سينودس كنيسة الروم الملكيين الكاثوليك على مدى أربعة أيام لانتخاب مطارنة جُدد في كلّ من بعلبك ـ الهرمل، زحلة، اللاذقية، وحلب. الاهتمام سيكون مُركّزاً على هوية مطران زحلة الجديد الذي سيخلف المطران عصام درويش، علماً بأنّ ولاية الأخير انتهت مع تقديمه استقالته في العام الماضي، إلا أنّ تأجيل انعقاد السينودس حال دون تعيين مطران آخر، فبقي في منصبه عاماً إضافياً. وتحظى انتخابات أبرشية زحلة بأهمية لأنها مركز الثقل الكاثوليكي، ولأن لأبرشية الفرزل وزحلة والبقاع للروم الملكيين الكاثوليك أملاكاً وأوقافاً كبيرة، فضلاً عن تأثير مطرانها على القرار الزحلي اجتماعياً وسياسياً. ثمة أمثلة تُعطى دائماً لتوثيق أهمية هذا الدور، أولها وجود المطران كيرلس مغبغب مع الجنرال غورو

> انتخاب المطران يتمّ في اجتماع سيعقده السينودس ولا يصوّت فيه سوى المطارنة

> أنهى المطران درويش عهده بمجموعة خلافات سياسية واجتماعية وسمت سنواته العشر

في أوتيل القادري عند إعلانه ضمّ الأقضية الأربعة تمهيداً للإعلان عن لبنان الكبير. ثانيها وقوف المطران أغسطين فرح إلى جانب الأهالي خلال الحرب الأهلية، وفتحه أبواب المطرانية لهم. ثالثها «أيام العزّ» في عهد المطران أندريه حداد الذي كانت له مواقف سياسية حادّة، وأعاد في عهده بناء المطرانية إلى جانب ملئه الفراغ النيابي آنذاك. كان في نية درويش السير على خُطى حداد، وحظي باستقبال حاشد عند تعيينه في عام 2011، حين أمّت إليه كلّ المدينة وسياسيّوها وفعالياتها. يومها، أقام الاحتفال الأكبر الوزير السابق الياس سكاف، تلاه استقبال من تنظيم الوزير السابق سليم وردة. للمفارقة أنّ سكاف ووردة كانا أول من اختلف معهما درويش. الأول بسبب محاولة المطران إلغاء دوره، فوقعت قطيعة دامت طويلاً، حالت دون دعوة زوجة الوزير الراحل، ميريام سكاف لدرويش إلى دفن زوجها، قبل أن يتوسط البعض بينهما فتوافق على حضوره. أما مع وردة، فتمّت القطيعة بسبب مستشفى تلّ شيحا، الذي يُعدّ وردة عضواً مؤسّساً فيه، ويعتبر أنّ المطران أثر عزله وتعيين لجنة جديدة على المستشفى، لـ«السيطرة عليه». وكرّت بعدها سبحة خلافات المطران مع كلّ القوى والأحزاب الحاضرة في زحلة، فاختار أن يكون طرفاً منحازاً في المعارك البلدية والسياسية، من

(هيثم الموسوي)

عزل المدير العام للتعاونيات غلوريا أبو زيد، إلى دعم أسعد رغيب في البلدية ضد لائحة الكتلة الشعبية، وعمله في انتخابات عام 2018 النيابية ضد كلّ من نقولا فتوش وميريام سكاف، وصولاً إلى إحداث انشقاق في المجلس الكاثوليكي الأعلى والمساهمة في تعليق عمله وتأجيل انتخابات نائب الرئيس.

ساهمت هذه المعارك في استنزاف جهود المطرانية، فكانت 10 سنوات «عجاف» على حدّ قول أحد الآباء، بسبب «غياب الإصلاحات ومراكمة المطران درويش عداوات في كل الاتجاهات». هكذا، «انحدرت المطرانية من مرجعية إلى شركة تُعاني روحياً واجتماعياً، والأهمّ أنّ الكنيسة كمؤسسة غائبة عن خدمة رعيتها في أسوأ مرحلة يمرّ بها لبنان». ويضيف أحد الآباء أنّه في الأصل «ليست العبرة في طريقة وصول المطران، فكلّ من يصل يُفترض أن يبدأ بنجاح، وبعدها إما يكون قيمة مضافة للكرسي أو ينتقص منه».

منذ عامين، بعثت روما مراقباً مالياً إلى المطرانية للتدقيق في الحسابات المالية، لكن لأنها مطرانية زحلة، قرّر الفاتيكان لمملة الأمر وخصوصاً أنه لم يكن يتبقّى من الولاية سوى القليل»، وفق ما يؤكد أحد الفاعلين في المجلس الأعلى للروم الكاثوليك، ويرأسه درويش نفسه. كلّ ذلك أدّى إلى افتتاح المطران نهاية الشهر الماضي الأقسام المستحدثة في مطرانية سيدة النجاة من المتحف البيزنطي للأيقونات، إلى حديقة الأساقفة والمكتبة، خلال احتفالية أقيمت له بمناسبة اليوبيل الكهنوتي الذهبي واليوبيل الأسقفي الفضّي، بحضور بطريرك إنطاكيا وسائر المشرق يوسف العبسي، وغياب كلّ فعاليات زحلة ونوابها الكاثوليك، باستثناء الوزير السابق سليم جريصاتي بصفته مُمثّل الرئيس ميشال عون، الذي تكفّل برعاية الاحتفال... حتى إنّ رئيس بلدية المدينة، أسعد رغيب، المقرّب من درويش قاطع المناسبة.

3 ابرشيات تحت سيطرة «المستقبل»؟

ثمة خلاف مستجدّ اليوم ــ قبل رحيل درويش ــ يكمن في دعمه مطران كندا إبراهيم إبراهيم لخلافته، أي السعي لنقله من مطرانية كندا إلى مطرانية زحلة. انتشار الخبر في الكنيسة، أثار امتعاض بعض الرهبان والخورنة. فتعيين مطران من «خارجهم» على رأس الأبرشية، يعتبرونه «قتلاً» لطموحهم بتتويج مسيرتهم بالوصول إلى رأس الأبرشية. وبحسب الوزير السابق سليم وردة، «العمل على تعيين مطران ليرأس الكنيسة يُسيء إلى المطران نفسه. فهذا مخالف للقانون، من باب أنّ المطران الناجح في أبرشيته يجب أن يبقى في مركزه، رغم عدم معرفتي بإبراهيم وبالتالي لا يصحّ لي تقييمه. وعلمت أنّ دوائر القرار في الفاتيكان أيضاً غير مؤيدة لنقل المطارنة من أبرشية إلى أخرى».

ويرى وردة أنّ تعيين مطران «رسالة إلى كلّ الخورنة في الرهبانيات وخارجها بأنهم لا يستحقّون التعيين، مهما كانت سيرتهم جيدة، وممنوع إعطاؤهم فسحة أمل». أما سبب مقاطعته لاحتفالية درويش، فيردّها وردة إلى عدم تلقّيه أي دعوة، وقد وُجّهت فقط إلى جريصاتي، عدا عن أنه «لا علاقة لي مع درويش، ولي الفخر بأنني ممّن سعوا إلى تركه الأبرشية».

سليم وردة ورئيس البلدية أسعد رغيب ونائب رئيس مجلس النواب إيلي الفرزلي (الآخير أرثوذكسي، لكنه يتكفّل اليوم بمتابعة الملفّ المسيحي في تيار المستقبل) ومعهم مطران صيدا إيلي حدّاد، يدعمون راهباً مخلّصياً يدعى ميلاد الجاويش ويخدم في دار العناية الصالحة في صيدا. مسعى تيار المستقبل هنا هو السيطرة على أبرشية زحلة (وخصوصاً أنها تشمل البقاع الغربي أيضاً)، كما يسيطر «المستقبل» على أبرشيتَي صيدا وصور (فحداد هو مطران أصيل في صيدا، وعُيّن في بداية العام مدبّراً رسولياً على أبرشية صور)، تتقاطع مصلحة المطران حداد وتيار المستقبل هنا، فالأول عبر سعيه السيطرة على ثلاث أبرشيات (إذا انتخب الجاويش مطرانا) يكون قد ربح معركة استباقية نيابة عن تيار المستقبل ضد بطريرك إنطاكيا وسائر المشرق يوسف العبسي، عبر الضغط عليه ودفعه إلى الاستقالة، فيُستبدل بحداد.

في مقابل الدعم لميلاد جاويش، يدعم الفريق الآخر المُتمثّل بالبطريرك العبسي والمطران درويش وجريصاتي، نقل المطران إبراهيم إبراهيم من كندا إلى زحلة. ينفي المطران درويش لـ«الأخبار» دعمه لأي طرف، مؤكّداً أنّه «لا يوجد ترشيحات مسبقة، بل كل واحد يُدلي بصوته عندما ينعقد السينودس، من دون أي تأثير على المطارنة». من جهته، يؤكّد جريصاتي في حديثه إلى «الأخبار» أن لا علاقة له كـ«علماني» في هذه الانتخابات، «الأمر يعود للسينودس حصراً. إن استشارني أحد أحيله إلى البطريرك العبسي والمطران درويش». أما في شأن ما يُقال عن دعوته إلى تكريم درويش فقط، بما يُعدّ بمثابة رسالة سياسية، يجيب جريصاتي بأنّ الدعوة كانت عامة «والبطريرك طلب أن تكون برعاية رئيس الجمهورية، الذي طلب مني أن أمثّله في الاحتفال والافتتاح. وأنا وقفت على الخواء السياسي الكاثوليكي في زحلة، نهار عرفت أن المدينة، بالتمثيل السياسي الكاثوليكي، غائبة».

الهدف الضمني المشترك للفريقين هو السيطرة على كرسي أبرشية الفرزل وزحلة والبقاع الغربي، مع ما يعنيه ذلك من تأثير في الانتخابات النيابية والبلدية المقبلة، إضافة إلى التأثير في انتخاب نائب رئيس المجلس الكاثوليكي الأعلى. وفي هذا الإطار، يبرز دور نائب رئيس «المجلس»، الوزير السابق ميشال فرعون لدعم خيار تيار المستقبل. موقفه نابعٌ من مشكلته مع درويش، بعدما علّق الأخير مهام فرعون، على خطّ حزبَي القوات اللبنانية والتيار الوطني الحر، لم يُسجّل بعد أي تدخّل رسمي، رغم أنّ «القوات» تبدي امتعاضاً في مجالسها لاعتبارها أن تدخّل تيار المستقبل في انتخابات الأبرشية «يُسيء إلى زحلة»، التي ينظرون إليها كـ«عرينهم»، وحظوا فيها بنسبة كبيرة من أصوات أبناء الطائفة الكاثوليكية في الانتخابات النيابية والبلدية.

وسط هذا المشهد المنقسم، تخوض زحلة مجموعة تحدّيات، وثمة من يعتقد أنّه يفترض بالفاتيكان والسفير البابوي حسم الصراع لأبعاد شبح الانقسام عن الكنيسة. فكرسي أبرشية زحلة يُستخدم حالياً كسلاح بين قوى سياسية متصارعة. الأمر رهن بالرسالة التي يريد الفاتيكان نشرها في عاصمة الكثلكة، وخصوصاً أنّ المطران المقبل سيخدم رعيّته لمدّة 25 عاماً، وليس نائباً ـ مثلاً ـ يُكمل أعوامه الأربعة ويرحل.

تقرير

لقاح «سبوتنيك»... محلّياً: هل تبدأ «أروان» التصنيع؟

نضجت «طبخة» تصنيع لقاح سبوتنيك في لبنان، مع وصول المحادثات بين شركة «أروان» للصناعات الدوائية والصندوق الروسي للاستثمار الى مرحلة ما قبل التوقيع. وهي مرحلة الاسعار. مع ذلك، تبرز على الطرف الاخر بعض «الحرتقات» التي يمارسها بعض «التجار المستفيدين»، على ما يقول وزير الصناعة عماد حب الله، بهدف تعطيل الاتفاق بعدما نجحوا في الفترة السابقة في تأخيره

رأجانا حمية

استطاع لبنان، بعد عام ونصف عام من دخول فيروس كورونا، تخطي عتبة الخطر. فبعد أشهر من الذروة في أعداد الإصابات والوفيّات والحالات الحرجة، يصل اليوم إلى مرحلة ما قبل التعافي من الفيروس الذي حصد حتى الآن ما يقرب من 8 آلاف ضحية. أمس، كان عدّاد الإصابات تحت المئة، وهو الرقم الذي لم يكن وارداً في الحسابات قبل شهرين من اليوم، ومن المتوقع أن يزداد التحسن خلال الفترة المقبلة، وصولاً إلى الرقم صفر... ما لم يحمل الصيف أية مفاجآت قد تحدث مع عودة المهاجرين من الخارج.

على خطّ التحسن في عدّادات كورونا، تنشط وزارة الصحة العامة أيضاً على خط اللقاحات في سبيل تحصيل مناعة مجتمعية تقي من انتكاسة جديدة. وهي، لهذا السبب تحرص على إقامة «ماراتونات» لقاحية أسبوعية لتوسيع دائرة المستفيدين من اللقاحات. مع ذلك، لم تسر تلك السباقات بالسرعة المتوقّعة للوصول إلى المناعة المطلوبة. فحتى اللحظة الراهنة، لا تزال نسبة الناس الذين تلقحوا بحدود 13%، على ما تقول الدكتورة رويدة دهام، نائبة رئيس شركة «أروان» للصناعات الدوائية. وهي نسبة خجولة مقارنة ببعض دول الجوار، على الأقل.

أما الأسباب هنا، فليست لوجستية، وإنما «خارجية» تتعلق بأمرين أساسيين: أوّلهما كمية ما يحصل عليه لبنان من لقاحات. وهي كمية غير كافية، حسب ما يؤكد وزير الصحة العامة، حمد حسن، مراراً، وثانيهما «عرقلة» بعض المحاولات لإنتاج اللقاح محلياً. صحيح أنه في الفترة الأخيرة، بدأت تتضح بوادر توقيع اتفاق ما بين المؤسسة الروسية المصنّعة للقاح «سبوتنيك» وشركة «أروان» للصناعات الدوائية بهدف تصنيع اللقاح الأخير محلياً، إلا أنه كان من المفترض «أن يحصل ذلك قبل فترة»، على ما يقول وزير الصناعة، عماد حب الله، الذي كان راعياً للمحادثات بين الشركة والجانب الروسي. وإذ يشير الأخير إلى أن المحادثات اليوم بين الفريقين «باتت في مرحلة الأسعار»، إلا أن «عرقلات بعض التجار المتضررين من التصنيع في لبنان حاولت عرقلة المفاوضات مع شركة أروان»، مؤكداً في الوقت نفسه أن «التوقيع بات قريباً». وهو ما ألمح إليه فاليري غورونين، المدير التنفيذي المسؤول في صندوق الاستثمار الروسي المباشر عن عقود تصدير لقاح سبوتنيك إلى خارج روسيا. في إطار حديث غير رسمي، مشيراً تواصلاً وحواراً مع الصندوق بشأن تصنيع اللقاح في لبنان ومن بينها شركة أروان التي تمتلك حظوظاً أوفر للوصول إلى توقيع عقد التصنيع». أما رسمياً، فقد نفى غورونين «توقيع أي اتفاق مع أي طرف لبناني لتصنيع اللقاح حتى تاريخه»، موصياً في الوقت نفسه بالتواصل مع «المدير الإقليمي لدى شركة أوروغولف»، وهي الشركة التي تملك الوكالة الحصرية لتوريد لقاح سبوتنيك إلى لبنان وعدد من الدول الأخرى. وبعد التواصل

> تقول «أروان» إنها قادرة على تصنيع 120 الف قارورة لقاح في اليوم الواحد اي ما يعادل 600 الف جرعة

مع الأخير، تبيّن، بحسب المصادر، أن «شركة أوروغولف الإماراتية وهي شريك مساهم في صندوق الاستثمار الروسي المباشر لم توقع حتى تاريخه سوى عقد واحد مع شركة مالياغروب MALIAGROUP اللبنانية، أي جاك صراف وشركاه (مثل محمد شقير) ولم تسلم لبنان سوى 55 الف جرعة، كونها تعاني من ضعف طاقة الإنتاج بسبب الطلب الكبير».

برغم ذلك، تؤكد دهام واثقة بأن تكون المحطة الأخيرة لتوقيع الاتفاق الأسبوع المقبل، على أن «يدخل بعدها لبنان رسمياً في مجال تصنيع اللقاح». أما التحدي الأول بعد التوقيع، فهو توقيت وصول المواد الأولية الداخلة في تصنيع اللقاح الروسي، إذ تشير دهام إلى أن هذا الأمر رهن بالمؤسسة الروسية. على أنها تشير واثقة إلى أنه ما بين وصول المواد الأولية والبدء بتصنيع سبوتنيك، «لا يعوزنا سوى شهرين لنبدأ بتزويد لبنان بكميات كبيرة من اللقاحات».

شهران فقط. تصرّ دهام على الحسم، بنفس إصرارها على حساب الكميات التي يمكن أن ينتجها المصنع، إذ تشير إلى أنه «بإمكاننا تعبئة 120 الف قارورة لقاح في اليوم الواحد»، مع احتساب أن القارورة الواحدة «هي عبارة عن خمس جرعات»، أي ما يوازي 600 الف جرعة لقاح في اليوم الواحد وفي فترة مناوبة واحدة، وهذا يعني عملياً كميات أكبر «في حال اعتمدنا فترتي مناوبة». ويعني أيضاً أن «لبنان سيكون قادراً على تأمين الكميات اللازمة للتلقيح في أسرع فترة ممكنة، كما سيكون قادراً على تصدير الباقي». واستناداً إلى الاتفاق، تشير دهام إلى أن المطلوب من «أروان» هو تصنيع 60 مليون جرعة سنوياً، أي ما يعادل 12 مليون قارورة. حاجة لبنان، بحسب دهام، لا تتخطى الـ6 ملايين، فيما الباقي سيكون «صناعة تصديرية».

وبعيداً عن مسألة الإنتاج، تتريّث الشركة في الحديث عن سعر اللقاح، ريثما يصبح «الفول بالمكيول». مع ذلك، تضع دهام بعض التقديرات، مشيرة إلى أن الكلفة «أكيد رح تكون أقل من الكلفة التي طُرح فيها لقاح سبوتنيك في السوق اللبنانية»، وتحسبها ما بين «25 أو 26 دولاراً أميركياً» للجرعتين.

(هيثم الموسوي)

تقرير

سلامة يحاول «إنعاش» منصّة صيرفة

فشلت «منصّة صيرفة» في تحقيق هدفها المُعلن بخفض أسعار سعر صرف الدولار في السوق الموازية. فبعدما تفاخر الحاكم رياض سلامة بأنّ خلق سعر صرف جديد، وتحويل المصارف إلى صرّافين مُضاربين شرعياً على السعر الرسمي للصرف، سيؤدّي إلى تحسّن الليرة اللبنانية وخفض سعر الدولار إلى ما دون الـ 10 آلاف ليرة، تبيّن العكس. إعلان بدء العمل بالمنصّة لم يُفرمل انهيار العملة الوطنية. على العكس من ذلك، استمر سعر الدولار بالارتفاع، وخاصة مع فرض التوقّف عن تمويل بعض الاستيراد بحُكم الأمر الواقع. ومع صدور التعميم 158 (دفع 800 دولار للحسابات بالعملات الأجنبية مناصفةً بين الليرة والدولار)، و«هبّة» المصارف لشفط الدولارات والليرات من السوق، ما أدّى إلى تحليق إضافي في سعر صرف الدولار، لم تستطع «منصّة صيرفة» القيام بأي دور إيجابي.

وإضافةً إلى الأسباب البنيوية، فإن أحد أسباب فشل المنصّة «دوام العمل» الذي حدّده لها سلامة، بأنّها لا تصرف الدولارات للتجّار والمستوردين إلا يومين في الأسبوع، فضلاً عن التأخّر في بتّ الموافقات على المعاملات. وبالتالي، لا يزال طالبو العملة الصعبة، يشترون الدولارات من السوق، وليس من المنصّة. أدّى ذلك إلى إصدار سلامة بياناً أول من أمس يُخبر فيه عن تدابير «ردعية» سيتّخذها ضدّ بعض الصيارفة الذين لم يُسجّلوا كلّ المعاملات عبر المنصّة، بعدما تبيّن لـ«المركزي» عدم تطابق الأرقام التي رُفعت إليه عن التداول بالعملات مع الواقع. وسيُصبح بيع الدولارات يومياً عبر المنصّة، بعدما كان مُحدّداً بيومين في الأسبوع. هذه التدابير لا تعني نجاح المنصّة، أو تحسّناً في سعر الصرف، طالما أنّ المشكلة الأساسية لم تُعالج.

> أحد اسباب فشل المنصّة «دوام العمل» الذي حدّده لها سلامة

(الأخبار)

يورو 2020

«أشبال» غاريث ساوثغيت ... الجيل الذهبي الحقيقي لإنكلترا

بعد سنوات مخيّبة، تعوّل الجماهير الإنكليزية على منتخب «الأسود الثلاثة» أملاً بالتتويج في بطولة «اليورو». الجيل الحالي يمتلك كل المقومات للنجاح. فهل يحقق ما عجز عنه الجيل «الذهبي»؟

حسين فحص

رغم كونهم مهد كرة القدم في السياق التاريخي، لم يعرف الإنكليز الكثير من النجاح في البطولات الكبرى، حيث اقتصرت أبرز إنجازاتهم على التتويج بلقب كأس العالم عام 1966. حاول لاعبو إنكلترا بعدها تكرار ذلك الإنجاز، غير أنهم فشلوا في ذلك رغم تواتر العديد من الأجيال الموهوبة.

خلال الألفية الجديدة، اشتهر المنتخب الإنكليزي في الفترة الممتدة بين عامَي 2001 و2010، حيث وُصف ذلك الجيل بالجيل الذهبي إثر ضمّه نخبة من أفضل اللاعبين في العالم. كان منتخب إنكلترا مليئاً بالنجوم العالميين الذين كانوا يقدمون أداءً جيداً للغاية في الدوري الإنكليزي ودوري أبطال أوروبا. ومع ذلك، لم يتمكن الجيل الذهبي من تحقيق الأشياء التي كان من المفترض أن يحققها وفشل في الارتقاء إلى المجد الذي كان متوقعاً منه. يعود ذلك إلى عوامل عديدة.

في تلك الحقبة، تم تسليط الضوء الإعلامي على كوكبة من النجوم الإنكليز بعدما ضمت المنظومة لاعبين «كباراً» مثل لامبارد، بيكهام، روني، جيرارد...

وبقدر الدرجة التي روّجت لها وسائل الإعلام باستمرار تجاه المنتخب، بقدر ما قابله النقد اللاذع بعد كل فشل في بطولة ما ليسقط المنتخب ضحية لكثرة التوقعات والضغط الإعلامي الهائل.

بعيداً عن الضغط الإعلامي المحلي، عانى المنتخب من سوء الحظ في النتائج حيث خرج الأسود الثلاثة من بطولتين متتاليتين في ربع نهائي كأس العالم واليورو ضد البرتغال، كلاهما كان بركلات الترجيح.

وبغض النظر عن حجم المواهب والأسماء التي وجدت في تلك الحقبة، عاب على الاتحاد الإنكليزي سوء تعيينه للمديرين الفنيين، حيث ظهر جلياً ضعف البعض أمثال سفين جوران إريكسون (2002) وستيف مكلارين (2008).

وكان لازدحام الصفوف بالأسماء دور كبير في فشل المنتخب، حيث حالت كثرة النجوم دون الثبات على تشكيلة واحدة. يشهد على ذلك ازدحام الخط الخلفي بالأسماء اللامعة مثل جون تيري وريو فرديناند وجيمي كاراغر وسول كامبل، إضافة إلى عدم اندماج فرانك لامبارد وستيفن جيرارد في خط الوسط.

في نهاية المطاف، فشل الجيل الذهبي الإنكليزي في الارتقاء إلى مستوى «الضجيج»، ماذا عن الفريق «الشاب» الحالي؟

بالنظر إلى نتائج المنتخب اللافتة أخيراً، يمكن القول إنّ المجموعة التي كوّنها المدرب غاريث ساوثغيت هي في الواقع الجيل الذهبي الحقيقي.

فبعد وصول الأسود الثلاثة إلى نصف نهائي كأس العالم في النسخة الأخيرة، وصل الإنكليز إلى الدور نصف النهائي من دوري الأمم، ما يرجح توجّههم إلى الذهاب بعيداً في البطولات الدولية المستقبلية.

على الورق، لا يتطابق اللاعبون الحاليون من حيث القيمة الفنية في الوسط الكروي العالمي مع لاعبين من «طينة» جيرارد ولامبارد وروني (وبقية اللاعبين من تلك الحقبة)، غير أنهم يبدون مجهزين بشكل أفضل.

يعدّ جوردان بيكفورد الرقم واحد في مركز حراسة المرمى مع وجود منافسة من آرون رامسدال وسام جونستون.

في الخط الخلفي، يمتلك منتخب الأسود الثلاثة عدداً كبيراً من الأظهرة، يبرز منهم ريس جايمس، كيران تريبيير، بن تشيلويل، لوك شو... أما في مركز قلب الدفاع، فيمكن لساوثغيت الاختيار من بين مجموعة من الأسماء التي تلعب في المستوى الأعلى مثل جون ستونز، هاري ماغواير، كايل وولكر...

ومع استدعاء لاعبَين شباب موهوبين، استعاد خط الوسط هيبته بقيادة ماسون ماونت وديكلان رايس وجاك غريليش وفيل فودن وكالفين فيليبس والبقية...

في الهجوم، تمتلك إنكلترا الآن ثلاثاً من أفضل المواهب الهجومية في أوروبا. هاري كاين، رحيم ستيرلينغ (بدأ يستعيد شيئاً من غزارته الهجومية) وجايدن سانشو، دون إغفال وجود أسماء كبيرة ومواهب أخرى مثل ماركوس راشفورد، دومينيك كالفيرت لوين...

المثير للإعجاب، ورغم تعدد المواهب، هو أن المجموعة الحالية لا تلعب بفردية، بل ضمن النظام الذي يستخدمه ساوثغيت. هذه المجموعة تظهر الثبات الذهني لتحدي الصعاب وهو ما يجعلها رقماً صعباً في البطولة.

المزيج بين الموهبة، الإرادة والخبرة يجعل الإنكليز مرشحين فوق العادة للظفر بلقب اليورو. وإذا ما تحقق ذلك، ستصبح كتيبة ساوثغيت الشابة بمثابة الجيل الذهبي «الحقيقي».

تمتلك إنكلترا الآن ثلاثاً من أفضل المواهب الهجومية في أوروبا (أ ف ب)

> تمتلك إنكلترا الآن ثلاثاً من افضل المواهب الهجومية في أوروبا

تعادل سلبي بين الإنكليز والاسكتلنديين

تعادل منتخبا انكلترا واسكتلندا سلباً ضمن المجموعة الرابعة. ورفع المنتخب الانكليزي رصيده إلى أربع نقاط وأصبح رصيد الاسكتلنديين نقطة واحدة.

وضمن المجموعة عينها، عزز منتخب تشيكيا آماله بالتأهل إلى ثمن نهائي كأس أوروبا، فيما أبقى نظيره الكرواتي آماله الضئيلة قائمة بحجز مقعده بعد تعادلهما 1-1. افتتحت تشيكيا التسجيل عبر باتريك شيك من ركلة جزاء (37)، فيما أدركت كرواتيا التعادل بفضل إيفان بيريشيتش (47).

وفي المجموعة الخامسة، عززت السويد حظوظها في التأهل إلى ثمن النهائي بعد فوزها على سلوفاكيا 1-0. سجّله إميل فورسبرغ من ركلة جزاء في الدقيقة 77.

ومني المنتخب السلوفاكي بخسارته الأولى بعد فوزه على بولندا المنقوصة عددياً 2-1، ليتجمّد رصيده في المركز الثاني موقتاً برصيد 3 نقاط، بانتظار ما ستسفر عنه مباراة إسبانيا وبولندا اليوم السبت.

فورمولا واحد

فيرستابن يسيطر على التجارب الحرّة في فرنسا

فرض سائق ريد بول الهولندي ماكس فيرستابن، الساعي إلى الحدّ من هيمنة مرسيدس وسائقه بطل العالم سبع مرات البريطاني لويس هاميلتون، هيمنته على التجارب الحرة لجائزة فرنسا الكبرى المقامة على حلبة بول ريكار، ضمن منافسات المرحلة السابعة من بطولة العالم للفورمولا واحد.

وتنذر الفوارق الضئيلة بين «ماد ماكس» والفنلندي فالتيري بوتاس وزميله في الفريق «السير» هاميلتون بمنافسة حامية الوطيس، على غرار ما حصل في الجولات الست السابقة، حيث تقدم سائق ريد بول بتسجيله التوقيت الأسرع المطلق (1,32,872 د.) بفارق 0,008 ثانية فقط عن بوتاس، فيما تأخر هاميلتون بفارق 0,253 ثانية.

ووقف خلف التوقيت الأسرع لفيرستابن قرار فريقه بتزويد السيارة بإطارات ملساء في الفترة الثانية للتجارب، في حين حقّق بوتاس توقيته الأسرع على إطارات متوسطة.

وقال فيرستابن «لقد كانت نهاية جيدة وتطورنا كثيراً»، مضيفاً «ما زالت الأمور صعبة هنا، إذ إنّ الحلبة مفتوحة جداً مع هبوب الرياح، ما يعني أنه ليس دائماً من السهل تسجيل أسرع لفة».

وتابع الهولندي الساعي إلى فوزه الثالث هذا العام بعد سباقَي إميليا - رومانيا وموناكو «من الصعب التكهن أين سنكون غداً (السبت)، ولا يمكنك أن تعرف ماذا سيجد الفريق في الأمسية»، وختم «من المؤكد أني أتوقع أن الفوارق ستكون متقاربة جداً والأمور صعبة».

ومنحت الحلبة الفرنسية لبوتاس فرصة العودة للوقوف تحت الأضواء بعد بداية سيئة جعلت عشاق السرعة يطرحون أكثر من علامة استفهام حول مستقبله مع فريق «الأسهم الفضيّة»، حيث يحتل المركز السادس في ترتيب السائقين مع 47 نقطة فقط وخرج من السباقين الأخيرين في موناكو وأذربيجان بعلامة صفر.

وقال بوتاس الذي بات تحت مقصلة استبداله بالشاب جورج راسل «الشعور أفضل بكثير مما كان عليه قبل أسبوعين (في باكو)».

وتابع «بدأنا بطريقة صحيحة، وأنا مرتاح وسريع. السيارة متوازنة والإطارات تؤدي بشكل جيد. يمكنني أن أشعر بالثقة خلف المقود».

وبخلاف بوتاس، تذمر هاميلتون الذي يحتل المركز الثاني خلف فيرستابن المتصدر (105 مقابل 101) من توزان سيارته خلال عملية المحاكاة على الحلبة.

وشرح البريطاني ما حصل معه قائلاً «يا له من صراع في عطلة نهاية الأسبوع، ربما للجميع».

وتابع «لا أعرف ما إذا كان سطح الحلبة أو حرارة الحلبة، أو الإطارات. لقد تم رفع ضغط الهواء في الإطارات أكثر من أي فريق آخر، وعلى أعلى المعايير، ولكن ما زلنا نعاني من الانزلاق والجميع يصارع على الحلبة».

وأكد الفائز بـ 98 سباقاً أنه برغم هذه المشكلات، إلا أن «الأوقات ليست سيئة. نحن قريبون من المقدمة، وعلى الأقل ضمن دائرة الصراع».

وأكمل الترتيب الإسباني فرناندو الونسو (ألبين)، فيما سجل سائق فيراري شارل لوكلير من موناكو خامس أسرع توقيت.

وشهدت الفترة الأولى للتجارب تعرّض بطل العالم أربع مرات الألماني سيباستيان فيتل لحادث على متن سيارته أستون مارتن، فيما اصطدمت سيارة «هاس» مواطنه ميك شوماخر، نجل أسطورة الفئة الأولى» مايكل، بالحواجز.

(أ ف ب)

> شهدت الفترة الاولى للتجارب تعرّض بطل العالم اربع مرات الالماني سيباستيان فيتل لحادث

كوبا اميركا

65 حالة إيجابية في خمسة أيام

أعلنت اللجنة الطبية الخاصة بمسابقة كوبا أميركا لكرة القدم أمس الجمعة، اكتشاف 65 حالة إيجابية بفيروس كورونا منذ بداية البطولة القارية في البرازيل في 13 الشهر الحالي والتي تُختتم في 10 تموز/يوليو المقبل.

وشدّدت اللجنة على أنه تم إجراء 5458 اختبار «بي سي آر»، منها 5393 مسحة سلبية، مقابل 65 حالة إيجابية من بينها 46 في الطواقم الفنية للمنتخبات والمنظمين والجسم التحكيمي، و19 حالة للاعبين.

وأمام هذا الواقع، أكد اتحاد أميركا الجنوبية للعبة «كونميبول» أنه يطبّق بصرامة البروتوكول الصحي خلال التمارين والتنقلات لخوض المباريات بهدف حماية المشاركين من فيروس كورونا، وأنه على تواصل مستمر مع السلطات الطبيّة في البرازيل.

وتم إنقاذ البطولة في اللحظة الأخيرة، فبعد قرار «كونميبول» سحب التنظيم من كولومبيا والأرجنتين، الأولى بسبب الاحتجاجات العنيفة المناهضة للحكومة، والثانية بسبب تفشي

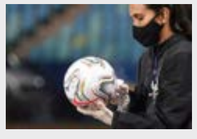

فيروس كورونا، منح شرف تنظيمها إلى البرازيل التي تعاني بدورها من انتشار سريع للوباء.

وعارضت جهات عدة محلية إقامة البطولة في بلاد «السامبا»، لكنّ المحكمة العليا أنهت الاستماع بشأن المطالبة بعدم إقامة البطولة، بتصويت ستة قضاة من أصل 11 لمصلحة إقامتها.

وكان «كونميبول» تلقّى في نيسان/أبريل الماضي 50 ألف جرعة من اللقاح الصيني «سينوفاك» من أجل تلقيح المشاركين في كوبا أميركا ومسابقتي كوبا ليبرتادوريس وكوبا سوداميركانا للأندية.

يومٌ مصيريّ للألمان وحاسم للفرنسيين

سيكون اليوم التاسع من كأس أوروبا مؤرّخاً لمباريات على 11 دولة، عابقاً برائحة التاريخ والحاضر مع طموح البناء أيضاً للمستقبل، بتصدّره لقاء البرتغال حاملة اللقب وألمانيا الأكثر تتويجاً به بمشاركة مع إسبانيا التي تلعب أيضاً اليوم السبت.

ويُفتتح اليوم التاسع بلقاء المجر وفرنسا بطلة العالم عند الساعة 16,00 بتوقيت بيروت التي تسعى إلى فوزها الثاني في المجموعة السادسة بعد الذي حققته في الجولة الافتتاحية على غريمتها التاريخية المانيا، ما سيضمن لها بطاقة ثمن النهائي.

وتقام المباراة في بودابست على ملعب يحمل اسم فيرينس بوشكاش الذي يجسّد تاريخ المجر والذي قادها في عام 1954 بصحبة هدّاف البطولة ساندور كوشيش إلى نهائي كأس العالم للمرة الثانية في تاريخها قبل السقوط أمام المانيا الغربية 3-2.

ومن المؤكد أن فرنسا لن تواجه الصعوبة نفسها التي اختبرتها في مباراتها الأولى ضد المانيا التي سيطرت على اللقاء لكن الفوز كان في نهاية المطاف من نصيب فريق المدرب ديديه ديشان بفضل هدف عكسي.

وأقرّ ديشان بـ«أننا واجهنا فريقاً ألمانياً جعلنا نعاني. كان الأكثر سيطرة على الكرة لكننا نجحنا في أن نكون أكثر فعالية».

واعتبر أن «نيل النقاط الثلاث كان أمراً هاماً جداً»، إدراكاً منه بأن التأهل بات ممكناً في المباراة الثانية ضد المجر وقبل لقاء البرتغال كريستيانو رونالدو في الجولة الأخيرة.

وإذا كانت فرنسا في وضع مريح، فإن غريمتها المانيا تسعى إلى التعويض حين تتواجه مع البرتغال على «اليانز أرينا» في ميونيخ عند الساعة 19,00، مع طموح نيل النقاط الثلاث وتجنب سيناريو محتمل بتكرار خيبة 2018 حين تنازلت عن اللقب العالمي بخروجها من الدور الأول.

وعلى غرار المباراة الأولى بين المجر وفرنسا لكن باختلاف واضح على صعيد المسار التاريخي، نجحت البرتغال خلافاً للمجر بإيجاد خليفة للأسطورة أوزبيو الذي قادها إلى نصف مونديال 1966، وأنتجت أحد أفضل اللاعبين في تاريخ اللعبة بشخص رونالدو الذي نجح وبعد طول انتظار في قيادة «برازيليي أوروبا» إلى لقبهم الأول على الإطلاق عام 2016 بإحراز كأس أوروبا على حساب فرنسا المضيفة.

ولن تكون المباراة التالية سهلة أمام الألمان أبطال المسابقة ثلاث مرات والعالم أربع مرات، ولا سيما أن «مانشافت» يريد تجنب سيناريو الخروج من الدور الأول للمرة الثانية توالياً في مشاركته الأخيرة مع المدرب يواكيم لوف، لأن الأخير سيترك في نهاية البطولة المنصب الذي تسلّمه عام 2006.

ويتمنّى الألمان الذين يبنون للمستقبل بعد خيبة مونديال 2018 من خلال تعيين هانزي فليك للإشراف على المنتخب، تكرار تفوقهم على البرتغال التي خسرت المواجهات الأربع الأخيرة مع «مانشافت»: على المركز الثالث لمونديال 2006 وربع نهائي كأس أوروبا 2008 والدور الأول للبطولة القارية عام 2012 ومونديال 2014.

وفي إشبيلية وضمن منافسات المجموعة الخامسة، تلعب إسبانيا بحلتها الشابة مع مدربها لويس أنريكي ضد بولندا روبرت ليفاندوفسكي في مباراة مصيرية (22,00) لمنتخبين عاشا أيضاً مراحل متقاطعة على مرّ تاريخهما الكروي.

فإسبانيا التي بدأت مشوارها بالتعادل السلبي مع السويد في مباراة سيطرت عليها تماماً من دون أن ينجح شبانها في الوصول إلى الشباك، اختبرت منذ تتويجها القاري الأول عام 1964 مراحل فشل قبل أن تنجح أخيراً في فرض نفسها لاعباً عملاقاً بإحراز ثلاثية كأس أوروبا 2008-كأس العالم 2010-كأس أوروبا 2012.

أما بولندا التي بدأت مشوارها الحالي بسقوط مفاجئ أمام سلوفاكيا 1-2 متأثرة بنقص العديد في صفوفها، فما زالت تبحث عن استعادة ما منحها إياه غرشيغورش لاتو ورئيس الاتحاد المحلي للعبة حالياً زبيغنيو بونيك بقيادتها إلى المركز الثالث في مونديالَي 1974 و1982 على التوالي.

قد يحطم البرتغاليون بالألمان من البطولة (أ ف ب)

استراحة

كلمات متقاطعة 3766

10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
				■					
							■		
		■		■				■	
■			■		■				
	■					■			
			■		■		■		
				■					
	■				■				
									■

أفقيا

1- رئيس سوري راحل – 2- حضوري – ماركة سيارات – 3- من الأمراض – وقاري – 4- سلمٌ على صديقه – من أسماء البحر – 5- عنق – هر بالأجنبية – 6- أهرب – مهّده وزفّته – 7- متشابهان – إمارة عربية – مادة أساسية في صناعة الزجاج – 8- بواسطتي – تسمية قديمة أطلقت على سبعة من شعراء اليونان وسبعة من شعراء القرن السادس عشر الفرنسيين – 9- مدينة سعودية – منخفض بالأجنبية – 10- الهدوء في البلاد

عمودياً

1- دولة في أوقيانيا – 2- كذب وافتراء – جهاز من حديد يستعمل بواسطة مفتاح – للنفي – 3- أنت بالأجنبية – مداد الأقلام – خلاف كرم – 4- عكس نهاية – عائلة أمبراطورة إيران السابقة – 5- عائلة أديب وسياسي وصحافي واقتصادي لبناني راحل – شرب الماء – حفر البئر – 6- يشتق من العنب – 7- في الة الحلاقة – ظريف – 8- ماركة سيارات – بطل قصص ألف ليلة وليلة – 9- مدينة يونانية – إسم موصول – 10- من فقد أباه وأمه – الزمان الطويل

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- عبدو ضيوف – 2- ليل – العراق – 3- برؤوعهما – لب – 4- بو – مر – طابة – 5- اتبك – نخ – 6- تان تان – 7- إد – نهرو – رن – 8- الخذف – 9- أريج – ايلاف – 10- شارل السابع

عمودياً

1- علي بابا – اش – 2- بيروت – دارا – 3- دلو – ين – لير – 4- عمك – نخجل – 5- ضاهر – تهدّ – 6- يلمّ – مارشال – 7- وغاط – نو – يس – 8- فر – انت – إلا – 9- البخار – اب – 10- عقبة – ندفع

sudoku 3766

1		6	7	9	8			4
3				2				
	8		6		4	1		
4			2			9	8	
		1		4				3
7					9	2		
		3		6		7	9	
	2				3			
6			1			4		5

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3765

7	2	9	6	3	1	8	4	5
3	8	6	5	4	2	9	1	7
4	1	5	7	9	8	3	6	2
9	5	2	8	1	3	4	7	6
1	7	8	9	6	4	2	5	3
6	3	4	2	7	5	1	9	8
2	9	7	4	8	6	5	3	1
8	4	3	1	5	7	6	2	9
5	6	1	3	2	9	7	8	4

مشاهير 3766

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

إعلامي سعودي (1971-2015) اثبت قدرته على كسب محبة الجمهور العربي من خلال برامجه المتنوعة التي قدمها منها «خبايا». توفي إثر أزمة قلبية

5+6+2+10+1+3 = المرأة عند زواجها ■ 4+9+8+7 = بحيرات مائية ■ 11+10 = سقي النبات

حل الشبكة الماضية: **ايفان الرابع**

إعداد
نعوم مسعود

مشروع سيرة إدوار سعيد، وإلصاق المواقف بالموتى [2]

أسعد أبو خليك *

لا يزال الحديث هنا عن كتابيْن جديديْن صدرا في الغرب عن إدوار سعيد: كتاب لتلميذ سعيد، تموني بريناني، «أماكن في الفكر: حياة إدوار سعيد»، وقبله صدر في فرنسا كتاب دومينيك إيدي، «إدوار سعيد: فكره كرواية». وكتاب بريناني المشغول بعنايةٍ وأناة يفتح الحديث مجدداً عن إرث سعيد الغني. وكتب سعيد لا تزال رائجة كما كانت في حياته، إن لم تصبح أكثر لكثرة النقاش حولها ولأنها تصبّ في صلب النقاش الجاري في الغرب عن إعادة النظر في المنهج التعليمي من أجل تشجيبه من رواسب العنصريّة والتعصّب الديني. وكتاب «الاستشراق»، من دون مبالغة، مُستعمَل اليوم في كل جامعة أميركيّة وفي أكثر من صفّ أو قسم. (إن تأثير جبران خليل جبران ـ على سبيل المقارنة الاعتباطيّة ـ على الثقافة والأكاديميّة الأميركيّة مُتخيلٌ بالكامل وهو من حكاية أقلام كتّاب جريدة «النهار» ونظريّات سعيد عقل (الذي مثل الكنيسة، عادى جبران في بداياته قبل أن يتبنّاه بعد تحويله إلى أيقونة فينيقيّة طائفيّة. لا يمكن أن تجد كتاباً واحداً لجبران مقرّراً في أي جامعة، لا في قسم اللغة ولا في قسم تفسير الأحلام). وإعادة اكتشاف سعيد، أو الغوص في إرثه، يرفع من مرتبة سعيد. وهناك كتب وأطروحات عنه قيد الإعداد، وكتب أخرى في طريق النشر. ويتزامن كل ذلك مع تبنّ ثقافي عربي (باحتضان من أنظمة النفط) لمعاداة سعيد وللدفاع عن الاستشراق الغربي.

والاستشراق الغربي باتَ مُعتنقاً إلى درجة كبيرة في الثقافة العربيّة: والليبرالية العربيّة ثابتة في ذمّها لإدوار سعيد وفي حماية الإرث السياسي للمستشرقين. الثقافة العربيّة السائدة باتت تحتفل بنقد صادق جلال العظم لإدوار سعيد أكثر من نقد سعيد للاستشراق. والطريف أن العرب في الصحافة السائدة يدلّلون على خطأ سعيد عبر الاستشهاد بمستشرقين في نقد سعيد. لكن نحن في زمن باتت فيه مجلة «المجلّة» السعوديّة (والتي كتب فيها إدوار سعيد في مرحلة) تنشر موضوع غلاف ضد إدوار سعيد وتستكتب الكاتب اليميني الصهيوني، جاشوا مورافتشك لذمّ سعيد. مشروع سعيد يبدو اليوم، أكثر من أي يوم مضى، أكثر جذريّة مما صدر في زمانه لأنه استكشف دور الفكر الغربي السائد في دعم مشاريع الحروب في مناطقنا. كما أن سعيد ربط بين تاريخ الاستعمار وبين الفكر الذي روّج له الاستعمار.

لكنّ الثقافة العربيّة والإعلاميّة السائدة اليوم تريد إنعاش ذاكرة الاستعمار (ها هي صحيفة «الشرق الأوسط»، تنشر في حلقات كتاباً جديداً ـ مُكرّراً ـ لحازم صاغية وفيه ذمّ جمال عبد الناصر، الذي مات قبل أكثر من خمسين عاماً. أي أن صاغية لم يجد استبداداً حوله في العالم العربي اليوم إلا استبداد جمال عبد الناصر واستبداد الأنظمة التي تعادي آل سعود ـ إنها الليبرالية العربيّة، يا صديقي وصديقتي). هناك مواقع وصفحات مُفردة فقط لإعادة كتابة تاريخ الاستعمار من أجل ربط ذاكرة مغلوطة بوعود مشروع الغرب الحربي في بلادنا. في لبنان، طالب البعض (أمام الإعلام العربي والعالمي) ماكرون بعودة الانتداب إلى لبنان. هؤلاء لا يعلمون كيف كانت التراتبية الطبقيّة والطائفيّة في عهد الانتداب، وكيف كان المستعمر يولّي مصلحة الاستعمار على أي مصلحة أخرى. ومن أشنع ما لدينا من قوانين سارية في التقييد والحظر (الجنسي والسياسي وغيره) ليست إلا من موروث قوانين المستعمر. حتى في فلسطين المحتلّة، فإن القانون الذي يستعين المحتلّ به في احتلاله هو من موروث قانون الانتداب البريطاني. وكتاب روبرت إروين، «المعرفة الخطرة: الاستشراق والمعترضون عليه» سيصبح الردّ العربي المعتمد على نقد سعيد، وقد أفردت له جريدة «الرياض» مراجعة مُتعاطفة.

في صف التدريس، كان إدوار سعيد، كما يروي بريناني، محافظاً، أي أنه لم يكن يؤمن بحق الطلاب في تعطيل الصفوف لأسباب التظاهر السياسي. ويروي أن سعيد دعا ذات مرّة شرطة الجامعة عندما دخل طلاب ثائرون إلى صفّه. وسلوك الأستاذ في الصف عرضة لمزاج الأستاذ ولموقفه من التعليم. قد أكون مُحافظاً لأنني لا آخذ مهنة التعليم على أنها مهمة للتلقين ضد إرادة الطلاب، أو أنها جزء من نضال الحزب الديمقراطي الأميركي، كما يراها الكثير من الزملاء التقدميّين هنا. وفصل سعيد بين دوره كمثقف عام وبين دوره كأستاذ في داخل الصف. والتلقين السياسي المُباشر مُهين للطلاب ولعقولهم. يستطيع الأستاذ أن يؤثّر وأن يوجّه لكن من دون المباشرة، أو تسخير الصف لغرض الدعاية السياسية. والمهمّة سهلة هنا عندما لا تكون مُنحازاً أبداً لأي من الحزبيّن اللذين يتداولان السلطة.

وترد في الكتاب قصّة الأكاديمي الفلسطيني، حنّا ميخائيل (اسمه الحركة في حركة «فتح» كان «أبو عمر»). هذا درس مع سعيد في جامعة هارفرد لكنه ـ خلافاً لنا كلّنا ـ نبذ التعليم الجامعي، أو هو فضّل عليه العمل السياسي المباشر (هناك كتاب جديد عنه من إعداد جهان حلو، بعنوان «غُيّب فازداد حضوراً»). ترك ميخائيل أميركا وأصبح ناطقاً باسم «فتح» يجول في الغرب للدفاع عن وجهة النظر الفلسطينيّة. وميخائيل لم يؤسس للجنة الإعلام المركزي في حركة «فتح» فقط، بل زاوج بين العمل النظري وبين الممارسة العسكريّة، إذ هو تلقّى دورة تدريبيّة طويلة في فيتنام. وكان في الفلسطينيّين (في لبنان وخارجه ـ باستثناء طبعاً عصابة أوسلو في رام الله) أنهم في أكثرهم لم يغفروا بعد للكتائب مجازرهم وإجرامهم، فيما هيّ قادة الحركة الوطنيّة الذين رفعوا شعار «عزل الكتائب» لإصدار صكّ البراءة للكتائب والقوات اللبنانيّة بمجرّد أن تقدّمت جحافل الغزو الإسرائيلي في لبنان في عام 1982. وحتى القوى التقدميّة الحالية في لبنان، مثل الحزب الشيوعي، لا ترى غضاضة في «التنسيق» في شؤون الثورة المزعومة مع قادة الحزب الفاشي هذا.

وفي العام الدراسي الذي قضاه سعيد في بيروت في فترة 1972 ـ 1973، تعاملت إدارة الجامعة الأميركيّة في بيروت وأساتذتها مع هذا الأستاذ اللامع (حتى في ذلك الوقت) بكثير من الفظاظة والاستعلاء والتجاهل. ورفضت الجامعة عرض سعيد أن يعلّم صفاً دراسياً واحداً. وينسب بريناني هذا السلوك إلى الغيرة من قبل أساتذة الجامعة (ومن المعروف أن الجامعة رفضت توظيف أحمد زويل عندما نال شهاداته). وحتى في سعيه للحصول على بطاقة مكتبة الجامعة، كانوا يضعون العقبات أمامه. ويقول سعيد عن ذلك في رسالة لزميل في مصر في عام 1972 عن الجامعة الأميركيّة في بيروت ما يلي: «أعتقد أنه مكان ضارّ ولا أمل منه. وللحفاظ النسبي على قواي العقلية لا أريد أي صلة به. ليس هناك من أحد ـ ولا أحد على الإطلاق، حرفياً ـ يقوم بعمل مثير للاهتمام. وكل من هو جيّد ـ مع أن المسكين المسنّ (كان شاباً في حينه)، حليم بركات يُعتبر معتدلاً مقارنة بصادق جلال العظم ـ يوضع على الرف، أو يُخصى، أو يُطرد، ودائماً بالقليل من الإنفاق». والوحيد الذي دعاه لإلقاء محاضرة في الجامعة كان شارل مالك. لكن هذه المعلومة التي ترد في الكتاب تتعارض مع ما ذكره بريناني من قبل أن سعيد قطع علاقته نهائيّاً مع شارل مالك بعد عام 1967. كم كان قطع الصلة مع مالك هذا صعباً على سعيد وعلى غيره (لكنّ سعيد كان مرتبطاً بمالك بحكم الصلة العائلية)، فيما شرابي سمح لمالك في عام 1974، أن يستدعيه إلى مكتبه عندما كان أستاذاً زائراً في الجامعة، وأن يقرّعه على ماركسيّته. لماذا سكت هؤلاء على مالك خصوصاً بعد دوره الفتنوي الرجعي في عام 1958؟

وهذه السنة في بيروت كانت مهمة لسعيد لأسباب أخرى، إذ إنه عمّق صلته باللغة العربيّة التي لم يكن يجيدها كتابة أو إلقاءً (بفضل العامّيّة) لكنه أجادها محادثةً وكان يفضّل الحديث بها حصراً مع العرب، مع الاستعانة ببعض المفردات التي تعصى عليه. ودرس سعيد اللغة العربية، مع أستاذ اللغة السامية الأنعزالي، أنيس فريحة (وكان صديقاً لعائلته). لا نعلم ـ أو أنا لا أعلم ولا يذكر بريناني شيئاً عن ذلك ـ إذا ما كان سعيد قد تناقش مع فريحة في آرائه حول العرب والعروبة والعربيّة. لكن سعيد ضاق ذرعاً بالدروس ووجدها «من دون جدوى». وقرأ سعيد ابن خلدون للمرة الأولى في تلك السنة في بيروت.

وكتب سعيد مقالة في مجلّة «مواقف» لأدونيس في تلك السنة. وكانت تلك أوّل مساهمة لسعيد للجمهور العربي (لكنّ المقالة حتماً كانت مترجمة عن الإنكليزيّة مع أن سعيد كان يكتب باللغة العربيّة). ويضع بريناني المقالة في سياق مقالات «النقد الذاتي» التي تدفّقت بعد هزيمة 1967. لكن بريناني عندما يذكر كتاب صادق جلال العظم، «النقد الذاتي بعد الهزيمة»، لا يذكر أنه قرأه في ترجمته الإنكليزيّة الصادرة عن دار الساقي (الرجعيّة). كما يفوت بريناني أن يذكر، وهذه أشنع عند قرّاء الإنكليزيّة—أن فؤاد عجمي كتب مقدّمة الترجمة الإنكليزيّة للكتاب (كان العظم على علاقة وطيدة مع عجمي في سنة 1992 ـ 1993 التي قضاها في وأشنطن في «مركز ويلسون». وفؤاد عجمي روّج للعظم في كتابه «المأزق العربي»، وكان دائم الاستشهاد به». ويذكر بريناني باستخفاف أن غسان كنفاني امتعضَ من موضة كتب «النقد الذاتي» واعتبرها جزءاً من «الهرجان المازوشي والتعظيم الذاتي»، ويضع المؤلف العبارة بين مزدوجين كأنها من صياغة كنفاني. لكنّ مراجعة كنفاني في «الأنوار» في عام 1968 (وهي مجموعة في كتاب «فارس فارس»، الصادر عن دار الآداب) لم تتضمّن تلك اللغة أو العبارة. كان نقد كنفاني أعمق من ذلك واتشفّ في الكتاب لغة تحقير ذاتي استشراقية ورفض التنميط التعميمي عن عقل عربي ثابت الوجود، يختلف عن عقول شعوب الأرض. ثم إن التحوّل الذي لحق بمواقف العظم عبر السنوات كان متناسقاً تماماً مع التحذير الذي أطلقه كنفاني. لكنّ هذه الإشارة إلى الكتاب في سيرة سعيد تتوافق مع هذه الموضة في وسط اليسار الأكاديمي الغربي للاستعانة بالعظم (حيّاً وميتاً) ضد سعيد وضدّ نقده للاستشراق. هؤلاء يتمنّعون أحياناً عن نقد كتاب سعيد ضد الاستشراق فيحتاجون إلى ناقد محلّي (يميني، مثل عجمي، أو يساري سابق، مثل العظم).

ومقالة سعيد في «مواقف» (وقد نُشرت في كتاب «إدوار سعيد: مقالات وحوارات»، لمحمد شاهين) تقتفي آثار لهجة التشنيع الذاتي التي أطلقها العظم بعد الهزيمة، والتي أصبح لها مريدون كثيرون، ويمكن اعتبار كتاب فؤاد عجمي الأول، «المأزق العربي»، إضافة على نمط تفكير كتاب العظم، مع إمعان في التحقير الذاتي وفي جعل النضال العربي للحرية ولفلسطين مشروعاً يائساً (ومن المعروف أن عجمي هذا انتهى في صف المحافظين الجدد في واشنطن، ونال هو وبرنارد لويس وساميّن رفيعيْن من جورج بوش نفسه تقديراً لخدماتهما في التأجيج للحرب ضد العراق، وضد كل من تشنّ أميركا الحرب عليه).

وتساءل سعيد في تلك المقالة، وبلهجة استشراقية، عن سبب غياب حس «الفعالية والتقدّم والعلم والحيويّة الثقافيّة» عند العرب (أترجم هنا عن النصّ الإنكليزي الذي استشهد به بريناني). ويضيف سعيد في تشخيصه للحالة العربيّة في رسالة إلى صديق حميم له (سامي البنّا) ويقول: «المجتمع (العربي) ليست لديه ذاكرة، أو حس البعد (أو استشراف للمستقبل، وليس من قدرة للتخطيط) وليس هناك استقرار غير حالة التوازن». ويضيف أن الحركة التي تصف الفرد العربي هي دائريّة، وأن «الترداد يُظنّ أنه جدة، خصوصاً أنْ ليس هناك من حس للتقدير». وقرّر سعيد أن ليس للعرب فكرة عن صنع الثورة. ويقول: «إن الواقع لنا (نحن العرب) ليس إلا لغة». لكنه يضيف أن الحال هو كذلك في الغرب، لكنّ هناك وعياً في الغرب لذلك. لكن سعيد في الرسالة المذكورة يقترب من المنهج الاستشراقي عندما يقرّر أن العرب فقدوا لغتهم عندما أصبحت لغة الله، وأنها غير متغيّرة. طبعاً هذا التعميم لا يسري وليس هناك من يقرّ به من قراء العربيّة. ليست اللغة العربيّة في القرن الماضي كما هي يوم، حتى لغة الجرائد تغيّرت كثيراً عما كانت عليه، وتغيّر الشعر أيضاً، الذي كان من المفترض أن يكون انصياعه للعروض دليلاً على تحجّر الثقافة العربيّة وعلى تخلّف لغتهم. ومطب النتاج الرائج لـ «النقد الذاتي بعد الهزيمة»، أنه وضع سياق النقد في خانة الاستشراق الغربي التقليدي، ومن هنا المفارقة أن سعيد نفسه في هذه المساهمة في مجلّة «مواقف» (التي كانت ترحّب بهذا النوع من النقد، والذي لا يزال أدونيس يحنّده في تعميماته الخالية من العلميّة والدقّة) اعتبر أنه يجوز الكلام عن «عقل عربي» ـ حتى بريناني نفسه لاحظ ذلك ولاحظ أن ذلك شبيه بنهج شارل مالك، المؤثّر على سعيد في سن مبكرة. وبهذا، فإن صادق جلال العظم نفسه ـ وقبل سنوات من نقد كتاب سعيد عن الاستشراق ـ أدّى خدمة جليلة للاستشراق من خلال منحه صبغة يسارية محليّة.

ومثل هشام شرابي في الفترة نفسها، فكّر إدوار سعيد جدياً (أعلم ذلك للمرّة الأولى) بترك جامعة كولومبيا والانضمام إلى الجامعة الأميركيّة في بيروت. وبالرغم من سوء معاملة الجامعة لسعيد في تلك السنة التي قضاها مستفيداً من منحة «غوغنهايم»، أراد سعيد المشاركة السياسية في الميدان اللبناني ـ الفلسطيني. وشرابي كان على وشك الاستقالة من جامعة جورجتاون للالتحاق بالجامعة الأميركيّة عندما اندلعت الحرب، وعاد شرابي خائباً إلى واشنطن. وأذكر في آخر لقاء لي معه في بيروت قبل وفاته بقليل، أنه قال لي عندما سألته عن تأقلمه مع العيش في لبنان: هي أسعد أيام حياتي، أتمنّى لو أنني أتيتُ إلى هنا من قبل. وتجذّر هشام شرابي وكان دائم الإطلال على محطة «المنار» وكان شديد المناصرة للمقاومة.

يقول بريناني (وهو قابل أرملة سعيد، مريم) إن سعيد كان يفكر جديّاً في ترك جامعة كولومبيا في تلك السنة لولا أن مريم حثّته على الإقلاع عن الفكرة. وانطباعي عن سعيد أنه زاد عروبة وعربيّة عبر السنوات، تماماً كما يحدث للكثير من الأكاديميّين العرب (أو كان يحدث، لمن كان في ذلك الجيل). كان حنا بطاطو شديد التأثر بجمال عبد الناصر في سنواته الأخيرة، وأمرّ الآن بتجربة مشابهة من حيث الحنين للزمن الناصري. وقال لي حليم بركات رداً على سؤالي له قبل بضع سنوات: إن المرحلة الحالية هي أسوأ ما نمرّ به. لكنّ انجذاب سعيد لبيروت كان منطقيّاً: إدوار سعيد كان شديد النفور من الجو الصهيوني في نيويورك (أو في أي جامعة نخبويّة في أميركا) كما أنه كان شديد الاهتمام بتجربة المقاومة الفلسطينية آنذاك (ولا يمكن التقليل من تأثير تجربة «أبو عمر» عليه).

(يتبع)

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

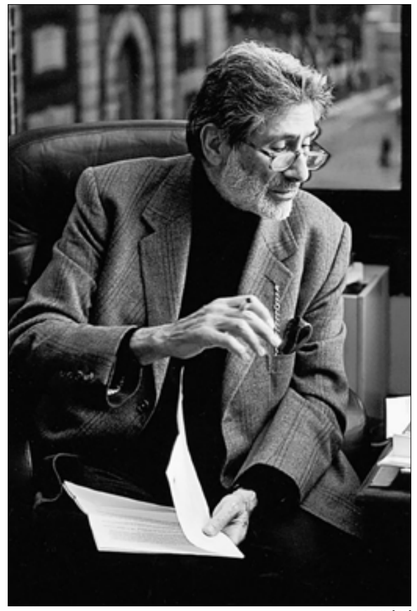
إدوار سعيد

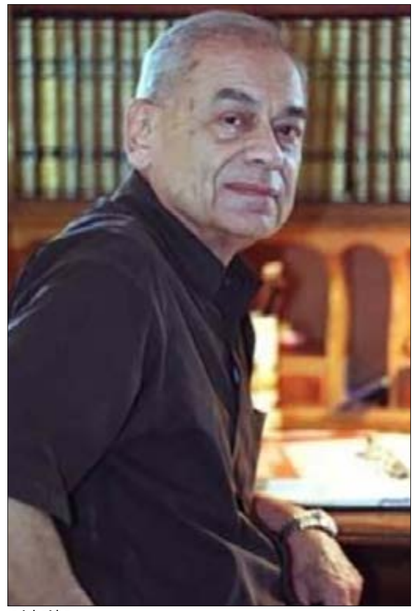
هشام شرابي

إدوار سعيد يبدو اليوم، أكثر من أي يوم مضى، أكثر جذريّة مما صدر في زمانه، لأنه استكشف دور الفكر الغربي السائد في دعم مشاريع الحروب في مناطقنا

المكابرة والفجور رغم الانهيار

سعد الله مزرعاني *

المكابرة والفجور هما سلاح القوى الحاكمة المفضل. هذا ما حصل منذ اندلاع الأزمة بشكلها الانعطافي الكبير، أواخر عام 2019. هذا ما يحصل، خصوصاً اليوم، إزاء تشكيل حكومة جديدة إثر إسقاط حكومة الرئيس حسان دياب بضربة قاضية من قِبَل المجلس النيابي الذي كان أجهض «خطة التعافي الاقتصادي» التي أقرتها تلك الحكومة، بإشراف رئيسه وبدور مميز للنائب في التيار العوني، رئيس لجنة المال والموازنة، إبراهيم كنعان. كانت قلوب معظم أطراف السلطة «مليانة»، من مجيء حكومة دياب ومن الظروف التي فرضتها. وهكذا، وبعد تراجع التحركات الاحتجاجية، كان مجرد إعلان عابر للرئيس دياب نية حكومته البحث في إعداد مشروع قانون لتقديم موعد الانتخابات، القشة التي قصمت ظهرها بسيف المجلس النيابي.

تكشف وقائع حياتنا البائسة، كل يوم، اهتراءً جديداً، وفضيحة جديدة، وفئوية مستشرية ومتفاقمة، واستنقاعاً ومراوحة في العجز والفشل، ودائماً، إمعاناً في النهب والفساد (ولو أن ما تبقى ليس سوى جزء يسير من أموال المودعين التي تبخرت ما بين نهب السلطة وجشع المصارف وسوء إدارة وائتمان حاكم البنك المركزي وخبثه).

يراهن القيمون على النظام، بالدرجة الأولى، في المضي في نهجهم وموقعهم، على ما رسخوه، جيلاً بعد جيل، وبواسطة موارد الدولة والسلطة والدعم الخارجي، من عصبيات وأوهام ومعتقدات... وكذلك، على ما اعتمدوه من أساليب غش وخداع! يضاف، بشكل خاص، ما اعتمدوه من منظومة تحاصصية أحكمت قبضتها على كل مناحي الحياة والنشاط: المؤسسات السياسية والإدارية والأمن والمال والقضاء والتربية والإعلام والفن والرياضة... في مجرى ذلك أُجهضت كل مؤسسات وأشكال الرقابة، ومُنعت كل أشكال المحاسبة، وبات النهب والفساد دفاعاً «مشروعاً» عن «حقوق» طائفية ومذهبية يحملها دجّالون يمثلون طبقة رأسمالية بالغة التوحش والأنانية، معادية لمصالح الشعب والوطن. هي، بامتياز، طبقة الواحد في المئة التي أودت بالبلاد إلى الانهيار، وبالشعب إلى اليأس والجوع والمهانة والكوارث والمآسي التي يتواصل تساقطها على رؤوس الأكثرية الساحقة من اللبنانيين، من دون رحمة أو مخرج.

على طريقة من يقتل ثم يمشي في جنازة ضحاياه، يواصل عتاة السلطة اليوم مسيرتهم «المظفرة» على حساب آلام اللبنانيين وقلقهم ومآسيهم. هم الفاسدون، وهم الذين يرفعون راية محاربة الفساد من دون خجل أو رفّةِ جفن، هم من يتحاصص موارد البلاد وثروتها، لكنهم يحاضرون في العفة وحب الوطن والسهر على مصالح الشعب.

بعد حوالى عشرة أشهر على «ماراتون» التكليف والتأليف، وفيما يتسارع اندفاع البلاد نحو الانهيار القاتل الشامل، يلجأ أصحاب الفخامة والدولة إلى سلاحهم المفضل، سلاح استحضار وتأجيج العصبيات الطائفية والمذهبية. يجري ذلك لإعادة المواطنين إلى زريبة القطيع وبيت الطاعة، ولاستنفار غرائزهم على حساب عقولهم وجوعهم وإذلالهم. يجيد هؤلاء الرؤساء السجع الطائفي والمذهبي المقيت الذي يتردد صداه الآن بين القصور على نحو خطير. وهم لطالما اختبروا سحره وفوائده في مواجهة الوعي والأزمات وأفكار التغيير والتجديد والتحرر عموماً. وكلما اقتربت الاستحقاقات (النيابية والرئاسية)، وتعاظمت الأزمات، يصبح الفحيح الطائفي والمذهبي حاجة وسلاحاً لا يستغنى عنهما للحفاظ على الموقع والكرسي والنفوذ! لا يهتم أحد من المسؤولين بما يحمله موقفه وسلوكه ومعاركه من تعقيد إضافي: ليس فقط في عدم وقف التدهور، بل أيضاً في تعقيد وتأخير ما ينبغي اتخاذه من تدابير وسياسات، وبالتالي في تسريع الانهيار ومعه المآسي والكوارث!

الفجور يتجلى الآن، أكثر ما يتجلى، في ادّعاء كل طرف وصلاً بالدستور وحرصاً على تطبيق بنوده نصاً وروحاً! سيكون من قبيل إضاعة الوقت كشف زيف ما يزعمون. هذا الفجور يتم بأسوأ الصور: استصغاراً لعقول الناس وتجنياً على الحقيقة ومخادعة واستفزازاً. الدستور والقانون هما، بالنسبة إلى عتاة أهل السلطة، أداة لتمرير المصالح الفئوية والصفقات وتعطيل الدولة وتسخير مؤسساتها وإمكانياتها في خدمة قوى التسلط والنهب والخداع. أصل الخلل هو في إدارة الظهر للإصلاح الذي انطوت عليه «تسوية الطائف». جوهر الإصلاح ذاك تحرير السلطة من منظومة المحاصصة بإنشاء مجلس نيابي خارج القيد الطائفي كما في المواد 22 و24 و95 من الدستور، واستحداث «مجلس شيوخ» يحصر الشأن الطائفي في أمور «مصيرية» لا علاقة لها بإدارة البلاد، وذلك لإقامة مؤسسات تكون في خدمة الوطن وبالتساوي بين المواطنين، في الحقوق والواجبات، من دون تمييز سلباً أو إيجاباً.

هنا أصل المشكلة. لطالما رعت قوى الاستعمار القديم والجديد الانقسامات الداخلية بكل أشكالها ودعمت «أبطالها» المحليين: لإضعاف الشعوب وإخضاعها والهيمنة على مقدراتها ومصائرها.

لقد كشفت التجربة، بالحروب والدم والدمار، أن ما قد جرى فرضه على لبنان واللبنانيين، قد تخطاه الزمن وموجبات البقاء والتطور والتقدم. يدفع اللبنانيون اليوم ثمناً غير مسبوق في تاريخهم، بل حتى في تاريخ معظم الشعوب باستثناء الشعب الفلسطيني المنكوب بأسوأ مشروع إجرامي في التاريخ!

لقتنا مراراً، ونكرر الآن، أن قوى التسلط والنهب والتبعية والفساد واستغلال الطائفية، تراهن، أيضاً، على استمرار تشتت وضعف قوى التغيير. هذه القوى لم ترتقِ في برامجها وعلاقاتها وممارساتها إلى مستوى ما يتطلّبه الإسهام في معالجة الأزمة من حضور ودور وأطر عمل مشترك ومبادرات ذات طابع وطني إنقاذي شامل. ينبغي القول، أيضاً، في امتداد ذلك، أن ثمة قوى مشدودة في اهتماماتها وأولوياتها إلى الصراع الدائر على مستوى الإقليم والمنطقة، باتت مطالبة، بدورها، بمراجعة مشاركتها في السلطة وأهلها، وبقوى التغيير والعلاقة معها، من حيث الشروط والعلاقات: طلباً للمساهمة في الإنقاذ ولتفادي كارثة الانهيار الكامل.

* كاتب وسياسي لبناني

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ للفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل ـ 15ـ 01/666314 ـ 03/828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل /AlakhbarNews @AlakhbarNews /alakhbarnews-paper

فلسطين

جهود متسارعة لإحياء «السلام»: «سلطة أوسلو» تجدِّد آمالها

في ظلّ التراجع غير المسبوق في شعبيتها وتهمُّش دورها، تشتغل السلطة الفلسطينية على إعادة إنتاج نفسها فيما تأمل أن تنجح مساعيها لإحياء المفاوضات مع العدوّ الإسرائيلي برعاية أميركية. ودعم عربي تبديه خصوصاً كل من مصر والأردن اللذين يتوسّطان لدى إدارة جو بايدن لمنع انهيار «سلطة أوسلو» وتمكّن المقاومة من القرار الفلسطيني. من جانبها، تُظهر الإدارة حماسة لهذا الطرح. ولا سيما في ضوء تشكُّل حكومة جديدة في كيان الاحتلال تبدو مستعدّة هي الأخرى للانقاط فرصة تمويم السلطة وإضعاف المقاومة

غزة ــ رجب المدهون

بعد سنوات من تراجع السلطة الفلسطينية وتهمّش دورها، يعود الحديث ليتجدّد عن إعادة إحيائها، بهدف إطلاق عملية تفاوضية جديدة بين الفلسطينيين ودولة الاحتلال برعاية أميركية، في وقت يتدهور فيه مستوى تأييد حركة «فتح» والسلطة، بحسب أحدث استطلاعات الرأي، إلى أدنى مستوياته التاريخية، في مقابل ارتفاع نسبة تأييد المقاومة في الشارع الفلسطيني، إلى الثلثين. وبعد أشهر من تسلُّم إدارة جو بايدن مهمّاتها، وتشكُّل حكومة جديدة

> أبلغت السلطة بأن إدارة بايدن ستعمد إلى اقتراح مباحثات استكشافية للمواقف الإسرائيلية والفلسطينية

في إسرائيل برئاسة نفتالي بينت، انبعث الأمل لدى قادة السلطة، وعلى رأسهم الرئيس محمود عباس، بعودة المفاوضات، كاستحقاق أميركي ـ إسرائيلي ـ عربي لمواجهة برنامج المقاومة على الساحة الفلسطينية.

وفي هذا الإطار، أفادت مصادر في السلطة الفلسطينية بأن قيادة رام الله وجدت في المعركة الأخيرة منفذاً للوصول إلى البيت الأبيض، لطرح فكرة العودة إلى مفاوضات «السلام»، وهي فكرةٌ تعزّزت أخيراً في ضوء تشكّل حكومة جديدة في كيان الاحتلال، يرى جزء كبير من الأحزاب المكوِّنة لها، ولا سيما اليسارية، ضرورة التقاط فرصة استئناف المفاوضات لإضعاف برنامج المقاومة. إزاء ذلك، لاقى طرحُ السلطة بضرورة تقويتها في الضفة الغربية المحتلّة، والضغط على حركة «حماس» لتسليم مقاليد الأمور في قطاع غزة لحكومة تلتزم ببرنامج «منظمة التحرير» وتحظى بمقبولية من جانب المجتمع الدولي، قبولاً ودفعاً عربيين، وخاصة من قِبَل كلّ من مصر والأردن اللتين عرضتا على إدارة بايدن تبنّي هذا الاتجاه لمنع انهيار السلطة، وسيطرة «حماس» على القرار الفلسطيني. وهو ما ناقشه الرئيس عبد الفتاح السيسي مع نظيره الأميركي، أخيراً، حيث جرى الاتفاق على دعم الفكرة بعد تولي حكومة بينت مهمّاتها، وانتهاء دور حكومة بنيامين نتنياهو الذي أرادت أن تُبقي دور السلطة وظيفياً وأمنياً فقط، وأن لا يكون لها أيّ تأثير سياسي.

وكشفت المصادر، لـ«الأخبار»، أن مصر والولايات المتحدة أبلغتا السلطة أن الإدارة الأميركية ستعمد، خلال الأسابيع المقبلة، إلى اقتراح مباحثات استكشافية للمواقف الإسرائيلية والفلسطينية، يُفترض أن تُفعَّل ملف التفاوض من جديد، وهو السبب الذي دفع عباس إلى إعادة ترتيب ملفّ المفاوضات عبر التجهيز لتعيين مسؤول جديد، خلفاً للراحل صائب عريقات. وفي الأسبوع الماضي، ناقش عباس قضيّة استئناف المفاوضات، خلال رئاسته اجتماع اللجنة التنفيذية لـ«منظمة التحرير الفلسطينية» في رام الله، وطلب من اللجنة التحضير لإجراء انتخابات لتعيين شخصيتَيْن بديلتَيْن من صائب عريقات الذي توفي قبل أشهر، وحنان عشراوي التي قدّمت استقالتها. وتبدو حركة «فتح»، وفق المصادر، عازمة على الدفع بشخصيتين تابعتين لها لهذين المنصبين، يبدو أن هناك إجماعاً وموافقة من قِبَل عباس على أن يكون من بينهما حسين الشيخ ليحلّ محلّ عريقات في ملف المفاوضات، فيما لم يُحسم بعد الخيار بين ماجد فرج ورياض المالكي، لتولّي المنصب الثاني. وأشارت المصادر إلى أن القاهرة وواشنطن وتل أبيب أبلغت عباس أن أيّ تحرّك أحادي من جانبه لن يلقى أيّ دعم، وأن الأولوية الآن هي لتعزيز الوضع الداخلي، وإجراء الانتخابات التشريعية والرئاسية، وأن أيّ تحرّك خارج هذا الإطار لن يلقى أيّ دعم.

لاقى طرح السلطة بضرورة تقويتها في الضفة قبولاً ودفعاً من جانب مصر والأردن (أ ف ب)

وأجرى وزير الخارجية المصري، سامح شكري، أمس، اتصالاً بنظيره الإسرائيلي، يائير لابيد، دعاه في خلاله إلى ضرورة تحريك الجمود الحالي بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي، وصولاً إلى إطلاق عملية تفاوضية شاملة، على نحوٍ يضمن تدعيم ركائز الاستقرار في المنطقة، بحسب بيان وزارة الخارجية المصرية. وفي الإطار نفسه، قالت المصادر إن وفداً من حركة «فتح» سيصل إلى القاهرة، الأسبوع المقبل، لبحث ملف السلام مع المسؤولين المصريين، وذلك في ضوء الحديث عن مباحثات إسرائيلية ـ مصرية أخيرة بهذا الخصوص. وكانت «القناة 12» العبرية قد نقلت عن مصادر في السلطة قولها إن الأخيرة ستطالب، خلال محادثاتها مع الحكومة الإسرائيلية الجديدة، بالعودة إلى الوضع الذي كان قائماً في الضفة المحتلّة قبل الانتفاضة الفلسطينية الثانية، بما يشمل وقف اقتحامات الجيش الإسرائيلي للمناطق أو توسيع دور السلطة في المنطقتين ب وج، وخصوصاً في القضايا الأمنية. من جهته، أعلن وزير الأمن الإسرائيلي، بني غانتس، خلال محادثات مع مسؤولين في الإدارة الأميركية، بينهم وزير الدفاع، لويد أوستن، أنه سيعمل «من أجل تعزيز السلطة الفلسطينية والجهات المعتدلة في المنطقة». لكن العديد من العقبات تعترض العودة إلى مفاوضات «السلام» مع العدوّ، أبرزها تدنّي شعبية السلطة الفلسطينية والرئيس عباس لمصلحة المقاومة الفلسطينية. وفي هذا السياق، أظهر استطلاع للرأي أجراه «المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية»، أن 77% من الفلسطينيين يرون أن حركة «حماس» انتصرت خلال المواجهة الأخيرة، فيما ترفض الغالبية العظمى قرار السلطة تأجيل الانتخابات، ويطالب 70% من الجمهور بإجراء الانتخابات التشريعية والرئاسية رغماً عن إسرائيل. وتقول الغالبية إن «حماس» تُعدّ الأكثر جدارة بتمثيل وقيادة الشعب الفلسطيني في مقابل 14% أيّدوا السلطة برئاسة محمود عباس. وفي الإطار نفسه، كشفت مصادر قيادية في «حماس» أن الأخيرة لن تعطي تفويضاً لأيّ تحرك من قِبَل السلطة بخصوص عودة مباحثات «السلام» مع دولة الاحتلال، مؤكدة أنها ستعمل على مواجهة هذا التحرّك لمخالفته رأي غالبية الفلسطينيين، وطالما لم يعمد عباس إلى تنفيذ إجراءات المصالحة وترتيب البيت الفلسطيني و«منظمة التحرير»، وإنهاء حالة التفرّد في القرار الفلسطيني. وأشار المصدر إلى أن موقف السلطة ضعيف في هذا الملفّ، وأن الحركة، ومعها جميع فصائل المقاومة، تعارض مثل هذه الخطوة التي يجب أن تسبقها خطوات داخلية، مؤكداً أن التعويل على تعاطي حكومة الاحتلال الجديدة مع هذا الملفّ لا يمكن أن يلاقي نجاحاً طالما أن غالبية الفلسطينيّين لا يوافقون عليه.

العراق

الصدر «يهندس» تحالفه السياسي

أنا مَن يحدّد هوية «الرئيس»

على رغم ما يوحي به المشهد الانتخابي في العراق من نشاط، بدأت التحالفات السياسية تتبلور سريعاً، تمهيداً للانطلاق بها بمجرّد ظهور نتيجة الانتخابات المقرّرة في العاشر من تشرين الأول المقبل. وفيما يبدو أن ثقة تحالفَين رئيسَين سيتصدّران المشهد تحت قبّة البرلمان العتيد، أحدهما بقيادة «الصدريين» والآخر برئاسة «الحشديين»، يتسارع الحديث عن إمكان دفْع الأوّل في اتجاه تزكية ولاية ثانية لمصطفى الكاظمي، مع أن أقطابه يؤكّدون أنه لا يزال من المبكر حسم هذا الملفّ

حسين إبراهيم

تغيب الحماسة لدى غالبية القوى السياسية في العراق للدخول في تحالفات انتخابية. مردّ ذلك إلى القانون الجديد للانتخابات القائم على الصوت الواحد والدوائر الصغرى (329 مقعداً موزّعة على 83 دائرة)، والذي يسمح للقوى السياسية بإظهار قوتها الخاصة من دون تحالفات، ويعطي الولاء الديني والعشائري والقومي والمناطقي أسبقية في التحشيد. وإذا كان للانتماءات العشائرية والمناطقية والقومية دورها في إنجاح قوى تستجيب لهواجس تتعلّق بها، فإن الولاء الديني يبدو كفيلاً برفع قوى أخرى تتوافر فيها شروطه على المستوى الوطني الأوسع. وهو ما ينطبق بوضوح على «التيار الصدري» وبعض القوى الأصغر مثل تيار «الحكمة» بزعامة عمار الحكيم، من جهة، وأيضاً على القوى التي تؤلّف «الحشد الشعبي» وتدعمه، من جهة أخرى. وبالنظر إلى الخريطة المتشكّلة حتى الآن، يبدو أن ثمّة مظلّتَين سياسيتَين كبيرتَين ستندرج تحتهما معظم القوى العراقية، الأولى يتصدّرها تكتل «سائرون» التابع لمقتدى الصدر، والثانية يتقدّمها «الحشد الشعبي».

من بين أبرز القوى المرشّحة للانضواء إلى مظلّة التحالف الأول، والتي يسعى الصدر إلى الاتفاق معها على شروط الائتلاف منذ الآن: تيار «الحكمة»، وتيار «النصر» بقيادة رئيس الوزراء الأسبق حيدر العبادي والنائب عدنان الزرفي، إلى جانب حزب «تقدّم» بقيادة رئيس مجلس النواب محمد الحلبوسي من القوى «السنّية»، و«الحزب الديموقراطي الكردستاني» بزعامة مسعود بارزاني عن «الإكراد». في ما يتعلّق بالأخير، والذي سيشكّل التحالف معه - إذا ما تحقّق - تحوّلاً رئيساً في العلاقات بين القوى العراقية، جرى عقد اجتماعات بين الجانبين في أربيل، وسط تقارير عن تفاهمات تتعلّق بأن يكون الصدر صاحب الكلمة الأولى في تسمية رئيس الوزراء، مقابل تمكين بارزاني من «خطف» رئاسة الجمهورية من «الاتحاد الوطني الكردستاني». حول ذلك، يوضح النائب عن تكتل «سائرون»، رياض المسعودي، في تصريح إلى «الأخبار»، أن الحراك السياسي يعيش أربع مراحل، هي التفاهمات والاستقطابات والتحالفات والشراكات. نحن الآن في مرحلة الاستقطاب لبعض القوى السياسية التي تقترب من رؤيتنا في إدارة البلاد في المرحلة المقبلة»، معتبراً أن «التجارب السابقة أثبتت فشلها في كثير من الملفّات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية، وهذه التراجعات الخطيرة القت بظلالها على العملية السياسية برمّتها. لذلك نعمل جاهدين ونتواصل مع القوى السياسية، لاستطلاع مَن هي القوى التي نستطيع أن نعمل معها في المرحلة المقبلة لصياغة مشروع سياسي وطني واضح، يكون بعيداً عن التحالفات والرؤى السابقة، التي لم يكن لها وقع في تصحيح مسارات العملية السياسية». وفي الاتجاه نفسه، يرفض «تيار الحكمة»، هو الآخر، العودة إلى صيغ التفاهمات السابقة، مُعلناً أن «مَن سيكون قريباً من رؤيتنا بأن يكون تحت غطاء مشروع بناء الدولة ومؤسسات الدولة، سنتحالف معه من دون التفكير في مسمّيات أو أحجام الكتل السياسية، سواء كانوا الإخوة في البيت الشيعي أو على مستوى السنّة أو الكرد»، بحسب ما يقول عضو كتلة تيار «الحكمة»، أيسر الجادري، مضيفاً في حديث إلى «الأخبار» أنه «إذا استطعنا أن نحصل على غالبية من خلال هذا المشروع، وأن نذهب باتجاه تشكيل حكومة، فبالتأكيد سوف يبقى الذين لا يؤمنون بهذا المشروع خارج الحكومة، وإذا ما كان العكس فبالتأكيد سوف نختار أن نكون خارج تشكيل الحكومة بالآليات نفسها التي تشكّلت بها الحكومة السابقة في 2018».

وفي هذا الإطار، يلفت المسعودي إلى أن «تشكيل الحكومة واختيار رئيس الوزراء يرتبطان بعائد الأصوات التي سيحصل عليها التيار الصدري، فضلاً عن التحالفات السياسية المرتبطة بتفاهمات مع بقية الشركاء»، مؤكداً أن «التيار سيكون له دور مهمّ وحاسم كما في الدورات السابقة في اختيار رئيس الوزراء». وعمّا إذا كان تياره

> سيُحدث التحالف بين الصدر و«الديموقراطي الكردستاني» تحوّلاً رئيساً في علاقات القوى العراقية

يدعم تولّي مصطفى الكاظمي رئاسة الحكومة بعد الانتخابات، يقول المسعودي «لا نعتمد على اسم بعينه، وإنما نعتمد على طبيعة التحالفات المستقبلية وطبيعة المشروع المستقبلي في إدارة البلاد، ومن سيستطيع أن يتعهّد بتنفيذ هذا المشروع الكبير. فهذه ليست انتخابات دورية، بل انتخابات مبكرة هدفها الاستجابة لما جرى في الشارع ودعوات المرجعية ومتطلّبات المرحلة بعد وصول العملية السياسية إلى نفق مظلم، مع بيان أننا لا نضع خطوطاً حمراً على أحد، إلا الذين لا يستطيعون من إدارة البلاد في المرحلة المقبلة». وكانت تقارير تحدّثت عن أن حظوظ الكاظمي ستكون مرتفعة في حال فازت القوى التي ستنضمّ بعد الانتخابات إلى التحالف مع الصدر، وأن هذا التحالف العتيد آثر السير برئيس الحكومة الحالي في ولاية ثانية، بعد أن مهّد الكاظمي لذلك بالامتناع عن الترشّح للانتخابات، وسحْب مشاركة تيار «المرحلة» القريب منه فيها. ولا ينفي الجادري أن يكون طرح الكاظمي لرئاسة الوزراء بعد الانتخابات وارداً، لكننا نعتقد أن الحديث عن هذا الموضوع لا يزال مبكراً، ذلك أن حجم القوى والمقاعد التي ستحصل عليها القوى السياسية والتحالفات، هي التي سوف تحكم. المفارقة أن التحالف الأول العتيد لا يكترث لمسألة ضمّ ممثّلين عن التظاهرات التي شهدها العراق اعتباراً من أواخر 2019، إليه، وذلك لأنه يعتبر أنها لم تستطع إنتاج قوى متماسكة تملك إمكانيات خوض الانتخابات، على رغم أن هذه التظاهرات هي التي فرضت إقالة عبد المهدي واستبدال الكاظمي به. والجدير ذكره، هنا، أنه على رغم أن المتظاهرين حمّلوا الفريق الحاكم مسؤولية قمع التظاهرات لكونه يمتلك السلطة، ويأمر مختلف القوى الأمنية التي يترأسها الكاظمي بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة، فإن أطرافاً وازنين، في مقدّمتهم «التيار الصدري»، استطاعوا أخذ مسافة من السلطة، وجنّوا مكاسب سياسية من وراء ذلك، يأملون ترجمتها انتخابياً.

المظلّة الثانية في المشهد الانتخابي ينضوي إليها «تحالف الفتح» بقيادة هادي العامري، وهو الجناح السياسي لـ«الحشد الشعبي»، ويضمّ «عصائب أهل الحق» و«منظّمة بدر» وكتلة «نصّح»، إضافة إلى تحالف «العقد الوطني» برئاسة فالح الفياض، و«ائتلاف دولة القانون» برئاسة رئيس الوزراء الأسبق نوري المالكي، الذي يمثّل «حزب الدعوة». كما انضمّ إلى هذا التحالف «الاتحاد الوطني الكردستاني» الساعي للحفاظ على إمساكه بمنصب رئيس الجمهورية. ويُعتبر دور «الحشد» العنوان الأبرز للانتخابات المقبلة، على رغم أن أيّاً من القوى الكبرى لا يجرؤ على التنكّر علناً لهذه المؤسسة التي لعبت الدور الأساسي في هزيمة «داعش»، إلا أن الحديث عن «مشروع بناء الدولة» وعن «تفلّت السلاح» من قِبَل معارضي «الحشد»، يستبطن رغبةً لدى هؤلاء في تغيير دوره من خلال المؤسّسات الدستورية، أي من خلال الحصول على غالبية في مجلس النواب، تماماً كما كان تشكيل «الحشد» بفتوى الجهاد الكفائي ومن ثمّ مرّت مأسسته عبر تصويت برلماني. وحول هذه النقطة، يشير المسعودي إلى أن «الحشد الشعبي يمتلك مؤسسة كبيرة، فضلاً عن موازنة متكاملة له. نحن أيضاً جزء من هيئة الحشد، ولدينا اللواء 313 و314 و315، الذي يمثّل الدعامة الأمنية الأساسية في قاطع سامراء وصلاح الدين. لكنه يعتبر أنه «لا ينبغي أن يُستثمر ملفّ الحشد الشعبي من قِبَل أطراف سياسيين. فهو حشد عراقي وليس حشداً حزبياً أو مكوّناتياً. لذلك، نحن نقول إن هناك بعض الأطراف الذين يحاولون عبثاً أن يجيّروا هذا الملفّ لمصلحتهم، وهذا مرفوض لأنه يُستثمر بكلّ تأكيد انتخابياً وسياسياً وأمنياً وإعلامياً. ينبغي أن يكون الحشد بعيداً عن استثمار السياسيين له، فهو مؤسّسة أمنية قدّمت تضحيات، وينبغي أن يكون مستقلاً، وتحت إدارة القائد العام للقوات المسلحة».

يُعتبر دور «الحشد» العنوان الأبرز للانتخابات المقبلة (أ ف ب)

المقاومة في مفاوضات الأسرى: لا تبادل مقابل تخفيف الحصار

غزة - الأخبار

تزامناً مع استئناف الحراك المصري في شأن صفقة تبادل الأسرى بين المقاومة الفلسطينية والعدو الإسرائيلي، أطلقت حملة شعبية للمطالبة بالإفراج عن الأسرى الذين أعاد الاحتلال اعتقالهم بعد إطلاق

> ترفض المقاومة ربْط الوضع الإنساني في غزة بملفّ الجنود

سراحهم بموجب صفقة «وفاء الأحرار» عام 2011، وذلك تأكيداً للشرط المبدئي الذي وضعته المقاومة لإتمام صفقة جديدة. وتنطلق، في خلال أيام، جولة تفاوض إضافية بينت لاستكمال المباحثات، وتنفيذ تعهّدات بينت بإعادة الجنود الأسرى. ووصل، أمس الجمعة، العاصمة المصرية، وفدٌ يضمّ أعضاء كباراً في «مجلس الأمن القومي الإسرائيلي» برئاسة نمرود شيفر، لمواصلة المناقشات حول مصير الأسرى الإسرائيليين لدى «كتائب القسام»، توازياً مع استمرار مباحثات وقف إطلاق النار، وفق صحيفة «غلوبس» الإسرائيلية.

وفي ظلّ تسجيل اختراقات سابقة، جدّدت الفصائل الفلسطينية، بحسب ما علمت «الأخبار» من مصادر مطّلعة، إبلاغها الوسيط المصري أن محاولات دولة الاحتلال ربْط الوضع الإنساني في قطاع غزة بملفّ الجنود مرفوض، ولن تقبل به المقاومة التي كانت شرعت في تكثيف عمليات الضغط الميداني على العدو، والهادفة إلى كسر القيود التي يفرضها الأخير على القطاع منذ معركة «سيف القدس». وأشارت المصادر إلى أن «المقاومة تدير ملفّ الأسرى بشكل مريح، ولا تأبه لمحاولات الاحتلال الضغط عليها من خلال ملفّات أخرى»، مضيفة أن «الوسيط المصري يدرك أن الوفد المفاوض الفلسطيني ليس في عجلة من أمره، وأن ما يهمّه هو الإفراج عن كلّ الأسماء الواردة في القائمة التي تطالب بها المقاومة، وخاصة مَن تصفهم إسرائيل بأن أيديهم ملطّخة بالدماء». وعلى رغم أن عقبات عديدة اعترت المفاوضات غير المباشرة المستمرّة منذ ما قبل معركة «سيف القدس» بسبب عدم استقرار حكومة الاحتلال، إلا أن إشكاليات جديدة قد تطرأ اليوم على سير المفاوضات، بسبب تغييرات كبيرة متوقّعة في الوفد الإسرائيلي، بعد حديث مصادر سياسية عن أن بينيت يفكّر في تغيير رئيس «مجلس الأمن القومي» مائير بن شبات، المُفوَّض إليه متابعة مفاوضات الأسرى، مع المسؤول عن الملفّ، يورن بلوم.

وتزامناً مع تحرّكات الوفد الفلسطيني المفاوض الذي تكرّرت زياراته للقاهرة أخيراً، أطلقت في الأراضي الفلسطينية، أوّل من أمس، حملة «الحرية حقّ» بهدف إسناد الأسرى الذين أعادت قوات الاحتلال اعتقالهم بعد تحريرهم ضمن الصفقة التي أطلق فيها الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط، في تشرين الأول 2011. وترمي الحملة، التي شاركت في إطلاقها بالتزامن ما بين قطاع غزة والضفة الغربية شخصيات وطنية وممثلون عن الفصائل والقوى وكذلك أسرى محرَّرون، إلى تحويل قضية المحرَّرين الذين أعيد اعتقالهم إلى قضية رأي عام دولي، ومعركة سياسية مساندة للموقف الذي يحمله الوفد المفاوض في القاهرة، بحسب القائمين عليها. وأشار رئيس «هيئة شؤون الأسرى والمحرَّرين»، قدري أبو بكر، خلال مؤتمر من رام الله، إلى أن العدو ينتهك بشكل واضح وصريح البنود المتّفق عليها في «صفقة شاليط»، وهذا دليل على ضربه عرض الحائط بجلّ الاتفاقيات التي تمّ برعاية دولية وأممية. وخلال الحملة، سيتمّ تسليم رسائل إلى المنظّمات الدولية والإنسانية وممثّلي الاتحاد الأوروبي في غزة حول قضية هؤلاء الأسرى، وعلى رأسهم نائل البرغوثي الذي أعيد اعتقاله في حزيران 2014. وفي الإطار نفسه، علمت «الأخبار» أن المصريين أبلغوا الوفد الفلسطيني أن موقفهم لا يزال داعماً لإلزام الاحتلال بتنفيذ البنود التي تراجع عنها في صفقة «وفاء الأحرار»، وخاصة في ما يتعلّق بالأسرى الذين أعيد اعتقالهم وفرض الأحكام السابقة عليهم. وكانت المقاومة قطعت شوطاً كبيراً في هذا الملفّ، بعدما وافق العدو، العام الماضي، على الإفراج عن الأسرى المُعاد اعتقالهم، شرط أن يُطلق سراحهم تزامناً مع الصفقة الجديدة، وذلك بعد تدخّلات مصرية عديدة لدى الاحتلال، على اعتبار أن الوسيط المصري هو الضامن لـ«صفقة شاليط» السابقة.

ويتزامن الحراك الجديد في ملفّ الجنود الأسرى مع دعوات وضغوطات داخلية على الحكومة الإسرائيلية الجديدة لإنهاء هذا الملفّ؛ إذ قال أوفير دايان، في افتتاحية «يديعوت أحرونوت» أمس، إنه بعد إنهاء عهد بنيامين نتنياهو الذي استمرّ 15 عاماً، منها 12 متتالية، «يلتفّ الوزراء الجدد حول طاولة الحكومة، لكن التحدّيات لديهم قديمة. وهذه الحكومة ملزمة بأن تضع في رأس سلّم أولوياتها الموضوع الأشدّ جسامة ربّما، والأكثر إهمالاً في إسرائيل، وهو إعادة جنودنا الأربعة الأسرى من غزة».

قضية

على رغم الانحسار الكبير في العمليات العسكرية، وتحسّن الأوضاع الأمنية في المناطق الخاضعة لسيطرة الحكومة، لا يزال الموت في سوريا أقرب من أيّ وقت مضى، بحسب ما يعتقده الكثيرون في هذا البلد. ومع أن سنوات الحرب تسبّبت بالفعل بزيادة كبيرة في أعداد الوفيات، وأن أسباباً أخرى مرتبطة بالرعاية الصحية ولا سيما مع انتشار فيروس «كورونا» فعلت هي الأخرى فعلها في تصعيد العدّاد، إلا أن شيوع حالة من الإحباط أخيراً معطوفة على «فورة» مواقع التواصل الاجتماعي، أدّيا إلى تسلّل الإدراك المزيّف للموت، إلى عقول السوريين

المعارك تنحسر والوفيات ترتفع
لماذا لا يستريح الموت في سوريا؟

زياد غصن

كما هو حال جميع المؤشّرات التنموية في سوريا، فقد شهد معدّل الوفيات خلال السنوات العشر الأولى من عمر الحرب، انتكاسة كبرى، أضاعت كلّ الجهود التي بُذلت على مدار عدّة عقود وأثمرت انخفاضاً في هذا المعدّل إلى حوالى 4 بالآلاف في عام 2010، مع ارتفاع في متوسّط العمر عند الولادة وصل خلال الفترة نفسها إلى حوالى 72,1 سنة. ولم تكن الحرب بحاجة إلى كثير من الوقت لتنسف تلك المؤشّرات، إذ كانت السنوات الأولى كافية لتجعل معدّل الوفيات يقفز إلى حوالى 10,9 بالآلاف بحسب النتائج التي خلص إليها مسح السكان الذي أجراه المكتب المركزي للإحصاء في عام 2014، بالتعاون مع بعض المنظّمات الدولية. لكن في السنوات التالية، الممتدّة من عام 2016 إلى عام 2019، سجّل "المركز السوري لبحوث السياسات" انخفاضاً في معدّل الوفيات وصل إلى 9,9 بالآلاف في عام 2017، وإلى حوالى 7 بالآلاف في عام 2019، وذلك نتيجة للانحسار التدريجي في المعارك. وأفاد المركز بأن عدد الوفيات المرتبطة بالحرب بشكل مباشر قُدّر بحوالى 570 ألف وفاة مع نهاية عام 2019، فيما الوفيات المرتبطة بالحرب بشكل غير مباشر قُدّرت بحوالى مئة وألفي وفاة.

وبحسب ما يذكر الدكتور أكرم القش، مدير الهيئة السورية لشؤون الأسرة والسكان، فإن "هناك أكثر من مؤشر يدلّ على أن معدّل الوفيات حالياً أكبر من المعدّل الذي كان قائماً قبل الحرب، وهذا أمر منطقي". ويستشهد، في حديثه إلى "الأخبار"، على ذلك بالقول إن "معدل وفيّات الأمهات الحوامل مثلاً كان يبلغ قبل الحرب حوالى 54 وفاة لكلّ 100 ألف حالة ولادة، والمخطّط آنذاك العمل على تخفيض المعدّل ليصل إلى 35 حالة وفاة فقط، بينما خلال سنوات الحرب زاد الرقم ليصل إلى 65 وفاة، وهذا يعني أن الجهد المطلوب اليوم بات مضاعفاً لتخفيض معدّل الوفيات الحالي ليصل إلى مستواه المسجّل قبل الحرب من جهة، وللبدء بتحقيق ما كان مخطّطاً تنفيذه من جهة ثانية".

ومع أن البيانات الرسمية المتعلّقة بأعداد الوفيات والمستخلصة من السجل المدني، تقتصر على تلك المسجّلة في المناطق الخاضعة لسيطرة الحكومة والسوريين الموجودين في الخارج الذين يختارون التبليغ، وتالياً فهي لا تشمل الوفيات الحاصلة في المناطق التي آلت أو لا تزال خارج السيطرة وكذلك وفيات اللاجئين في الخارج، إلا أن زيادة رقعة المناطق التي عادت تدريجياً إلى سيطرة الحكومة أظهرت بيانات عزّزت هي الأخرى فرضية الارتفاع في معدّل الوفيات، ولا سيما خلال الفترة الممتدّة من عام 2016 حتى نهاية عام 2018، ففي عام 2016 وصل عدد الوفيات الحديثة المسجّلة في عشر محافظات إلى حوالى 45,2 ألف وفاة، إلا أنها في عام 2018 سجّلت حوالى 56,6 ألف وفاة، أي بنسبة زيادة قدرها 25%، قبل أن تعاود الانخفاض في عام 2019 وتُسجّل 50,7 ألف وفاة، متراجعةً حوالى 10,3 %.

وهذا ينطبق أيضاً على الوفيات المكتومة (الوفيات التي حدثت في سنوات سابقة وسُجّلت لاحقاً)، والتي من الطبيعي أن تشهد زيادة ولا سيما في المحافظات التي كانت بعض مناطقها خارج سيطرة الحكومة، إذ بلغت في عشر محافظات حوالى 6787 وفاة في عام 2016، ومن ثمّ زاد العدد بنسبة كبيرة خلال السنوات التالية ليصل إلى أكثر من 19837 وفاة في عام 2019 أي بنسبة زيادة تتجاوز 192%. لكن تبقى ثمّة شكوك في البيانات الواردة في المجموعة الإحصائية للسنوات الأخيرة، إذ وفق بيانات "المكتب المركزي للإحصاء" بلغ عدد الوفيات المسجّلة في جميع المحافظات السورية خلال عام 2010 حوالى 78,4 ألف حالة، وتالياً فهو يكاد يكون قريباً جداً من عدد الوفيات المعلنة رسمياً خلال سنوات الحرب، وهذا يناقض ما تسبّبت به الحرب من فقدان الكثير من السوريين لأرواحهم. زيادة عدد الوفيات انعكست، إلى جانب عوامل أخرى، على التقديرات المتعلّقة بمتوسّط العمر المتوقع عند الولادة للمواطن السوري. وبحسب تقديرات "اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لدول غربي آسيا" (الإسكوا)، فإن العمر المتوقّع عند الولادة انخفض من 72,1 سنة في عام 2010 إلى 69,9 سنة في عام 2015، ثمّ عاد للارتفاع من جديد مع تراجع حدّة المعارك ليصل في عام 2017 إلى حوالى 71 سنة، ثمّ إلى 71,8 سنة في عام 2018، بانخفاض قدره سنة واحدة عن المتوسّط العالمي. إلا أن "المركز السوري لبحوث السياسات"، وبناءً على تقديراته المتعلّقة بعدد الوفيات خلال سنوات الحرب والمشار إليها سابقاً، فإنه يقدّر العمر المتوقّع للحياة بحوالى 63 سنة في عام 2019.

تغيّب البيانات التفصيلية المتعلّقة بالوفيات وأسبابها، خاصة مع بدء انتشار فيروس كورونا (أ ف ب)

«كورونا» وأسباب أخرى

إذا كانت التقديرات البحثية غير الرسمية تتحدّث عن تراجع في معدّل الوفيات بدءاً من عام 2016، وإذا كانت البيانات الرسمية المستخلصة من السجل المدني تشير إلى تراجع في معدّل الوفيات الحديثة خلال عام 2019 بنسبة 10,3%، فما الذي يجعل أعداد الوفيات بنظر السوريين في زيادة مطّردة خلال الأشهر القليلة الماضية؟ وما دور شبكات التواصل الاجتماعي في ذلك؟ لا تبدو الإجابة محسومة ما دام هناك غياب للبيانات التفصيلية، خاصة مع بدء انتشار فيروس "كوفيد - 19"، وتسبّبه بحدوث وفيات كثيرة،

> **انتشار «كورونا» كان له أثره في ارتفاع أعداد الوفيات على رغم أن الجهات الحكومية لا تنشر بيانات تفصيلية**

إلا أن الدكتور شفيق عربش، أستاذ الإحصاء في كلية الاقتصاد في جامعة دمشق، ينظر إلى القضية من منظورين: الأول أن هناك "ارتفاعاً في أعداد الوفيات لأسباب عديدة أبرزها وجود أشخاص أصيبوا سابقاً في المعارك وتدهورت حالتهم الصحية لاحقاً وصولاً إلى وفاة البعض منهم، وهؤلاء في النهاية يشكلون نسبة حتى لو كانت ضئيلة. كما أن انتشار فيروس كوفيد - 19 كان له أثره في ارتفاع أعداد الوفيات، وإن كانت الجهات الحكومية المعنيّة لا تنشر بيانات تفصيلية حول أعداد الإصابات بالفيروس والوفيات الناجمة عنه بشكل دقيق".

ويضيف في حديثه إلى "الأخبار" حول المنظور الثاني أن "الأمر هنا يتعلّق بالوضع المعيشي، حيث تضطر كثير من الأسر إلى اتباع سياسة إسكات الجوع في ظلّ عدم قدرتها على توفير المواد الغذائية، وهذا من شأنه أن يؤثّر على صحة الأجسام وقدرتها على مقاومة الأمراض، إضافة إلى أن الرعاية الصحية ليست بالمستوى الذي كانت عليه سابقاً، فهناك معاناة من نقص في الكوادر الطبية الكفوءة والتجهيزات الطبية والقدرة على الوصول إلى المستشفيات والمراكز الصحية، ومن الطبيعي أن ينعكس كلّ ذلك على حياة الناس لجهة زيادة أعداد الوفيات، إنما في المقابل ليس بالحجم الذي تظهره شبكات التواصل الاجتماعي". ولا تغيب كذلك تأثيرات التلوّث الذي لحق بالموارد البيئية، والتي تحمل المسؤولية الأولى عن الزيادة الملحوظة في أعداد المصابين بالسرطان والأوبئة الخطيرة.

كل هذا كان من الطبيعي أن يجد صداه على شبكات التواصل الاجتماعي التي باتت الوسيلة الأولى لحصول السوريين على معلوماتهم المتعلّقة بالشأن العام ونشر أخبارهم الخاصة. وفي أخبار الموت تحديداً، ثمّة رأيان حول دور تلك الشبكات، فالبعض يعتبرها من بين الأدلّة على زيادة عدد الوفيات، في حين يفضّل المتخصّصون بالسياسات السكانية الاحتكام إلى البيانات الإحصائية الرسمية الصادرة عن السجل المدني وسجلات وزارة الصحة وغيرها، وينظرون إلى خلفيات ما يُنشر على مواقع التواصل الاجتماعي من نافذة ما يسمّى بالإدراك المزيّف أو الخطأ الإدراكي للرقم الإحصائي.

"فمثلاً عندما يتم نشر "نعوة" لأحد الأشخاص من قِبَل عدّة صفحات على شبكات التواصل، تبدو من خلال الوهم الإدراكي للرقم كما لو أنها عدّة حالات"، يقول الدكتور القش، ويضيف: "وفي بيئة اجتماعية متلهّفة لسماع أخبار معينة باتجاه معيّن، تصبح مثل هذه الأخبار بمنزلة استشهادات للدلالة على صوابية آرائهم وقناعاتهم بأن الموت زاد أو أن جرائم القتل ارتفعت... إلخ". ولا يختلف رأي الدكتور عربش عن ذلك، إذ إن "حالة الوفاة الواحدة يتمّ نشرها على شبكة التواصل الاجتماعي بأكثر من مصدر بحسب المكانة الاجتماعية للشخص المتوفّى وعمله وعلاقاته، وتالياً تظهر الوفيات أكبر من حجمها الحقيقي، الذي هو من دون شكّ شهد زيادات كبيرة خلال سنوات الحرب مقارنة بما كان عليه قبل عام 2011".

وفيات

زوجة الفقيد : ماري تريز يوسف جبر (ميرّات)
إبناه : المحامي اديب وزوجته جومانا ناجي حبيس وعائلتهما
المهندس كميل وزوجته شيرين حسان بكداش وعائلتهما
أشقاؤه : المحامي الياس اديب طعمه وعائلته (في المهجر)
الخبير فيليب اديب طعمه وعائلته
المحامي توفيق اديب طعمه وعائلته
وعموم عائلات : طعمه، جبر، حبيس، بكداش وعموم عائلات قرنة الحمرا وأنسباؤهم في الوطن والمهجر ينعون اليكم بمزيد الحزن فقيدهم الغالي المرحوم
المهندس
يوسف اديب طعمه
رئيس التنظيم المدني
في جبل لبنان سابقاً
الراقد على رجاء القيامة المجيدة نهار الخميس 17 حزيران 2021.
احتفل بالصلاة لراحة نفسه أمس الجمعة 18 حزيران في كنيسة قلب يسوع، قرنة الحمرا.
تتقبل العائلة التعازي في صالون الكنيسة اليوم السبت 19 الجاري من الساعة الحادية عشرة قبل الظهر ولغاية السابعة مساءً.

إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
الأخبار
akhbar
هاتف 01-759500
واتساب 71-513571
فاكس 01-759597
www.al-akhbar.com

إيران

محادثات فيينا تتواصل: عودة إلى التفاؤل

تزامناً مع الانتخابات الرئاسية الـ13 في إيران، شهدت الساحة النووية تصريحات متفائلة تفيد بقرب التوصّل إلى اتفاق. وبينما أكّد كبير المفاوضين الإيرانيين، نائب وزير الخارجية عباس عراقجي، أوّل من أمس، أنّ لا تأثير للانتخابات على عملية التفاوض، أشار إلى أن «فريق التفاوض سيواصل مباحثاته، بغضّ

> **يُعتقد بأن السفينتَين الإيرانيّتَين اللتين كانتا متجهتين إلى فنزويلا غيّرتا مسارهما إلى المتوسط**

النظر عن السياسة الداخلية». وأعلن عراقجي، في حديث تلفزيوني، أن المحادثات غير المباشرة بين طهران وواشنطن، اقتربت، أكثر من أيّ وقت مضى، من التوصّل إلى اتفاق، بعد إحراز «تقدّم جيّد وملموس في مختلف القضايا في محادثات فيينا»، لكن ما زال يتعيّن التفاوض على قضايا أساسية. وعن النقاط التي تحول دون التوقيع على الاتفاق، أوضح أن «إيران تريد التأكّد أن ما جرى مع مغادرة (الرئيس الأميركي دونالد) ترامب الاتفاق النووي، لن يحدث أبداً في ظلّ أيّ رئيس أميركي آخر».

وعلى المنوال نفسه، جاءت تصريحات وزير الخارجية، محمد جواد ظريف، الذي كرّر المطالبة برفع الحظر الأميركي المفروض على إيران. وخلال لقائه وزير خارجية الاتحاد الأوروبي، جوزيب بوريل، في مدينة أنطاليا التركية، في إطار اجتماع «منتدى أنطاليا الدبلوماسي»، أشار ظريف إلى التجربة المريرة للشعب الإيراني في ما يتعلّق بانتهاك الولايات المتحدة للاتفاق النووي، مُعرباً عن أمله في أن تكون المحادثات الجارية في فيينا مثمرة. ويأتي كلّ ذلك فيما أبدى المبعوث الروسي إلى المحادثات، ميخائيل أوليانوف، وواشنطن، اقتراب، حين أشار إلى أن «تقدّماً تحقّق، في الأيام الماضية، لكنّ المحادثات كانت صعبة»، موضحاً أن «بعض القضايا الصعبة التي تستهلك وقتاً لا تزال من دون حلّ». ومن جهتها، ذكرت وزارة الخارجية الفرنسية، أنّه لا تزال توجد خلافات كبيرة، في حين كرّر الناطق باسم وزارة الخارجية الأميركية، نيد برايس، وجهة نظر بلاده القائلة إن المحادثات حقّقت تقدّماً، وإن كانت التحدّيات لا تزال قائمة.

ذعر أكثر من 59 مليون إيراني للاقتراع في المراكز التي فتحت حتى منتصف ليل أمس (أ ف ب)

في سياق آخر، أفاد موقع «بوليتيكو»، نقلاً عن مسؤولين أميركيين، بأن السفينتَين الإيرانيّتَين اللتين كان يُظنّ بأنهما متجهتان إلى فنزويلا، غيّرتا مسارهما، في وقت سابق من هذا الأسبوع، وهما الآن تتّجهان إلى الساحل الغربي لأفريقيا. وأضاف الموقع، أنّ السفينتَين «اللتين اعتقد المسؤولون الأميركيون بأنّهما كانتا تنقلان أسلحة، بدا أنهما غيّرتا مسارهما مرّات عدّة خلال رحلتهما من إيران». ولكن بعد تغيير المسار، أخيراً هذا الأسبوع، يبدو أنّهما اتجهتا إلى البحر المتوسط - حيث من المحتمل إبحارهما في اتجاه سوريا، أو شمالاً في اتجاه روسيا -، وفق الموقع الذي لفت إلى أن المسؤولين الأميركيين يعتقدون بأن التغيير في المسار يشير إلى أن الحملة الدبلوماسية، التي حضّت الحكومات في نصف الكرة الغربي إلى رفض الشحنات، قد نجحت. وكانت السفينتان الإيرانيتان قد اتخذتا مساراً جديداً بعدما دعت حكومة الرئيس الأميركي جو بايدن، نظيراتها في فنزويلا وكوبا وغيرهما من الدول في المنطقة إلى عدم السماح لها بالرسوّ، بحسب ما أفاد «بوليتيكو».

(الأخبار)

اليمن

تصعيد متنقّل في الوقت الضائع

صنعاء ـ رشيد الحداد

في وقت تستمرّ فيه المساعي العُمانية لإحداث خرق في جدار الأزمة اليمنية، تُستغلّ التهدئة غير المعلنة في مختلف جبهات القتال في الداخل، لإعادة ترتيب القوات المعادية لحركة «أنصار الله» في مختلف المحافظات الخارجة عن سيطرة حكومة صنعاء. يأتي ذلك بالتوازي مع تسليط ضغوط سياسية متجدّدة على حكومة الرئيس المنتهية ولايته، عبد ربه منصور هادي، و«المجلس الانتقالي الجنوبي» الموالي للإمارات، لإنهاء خلافاتهما وفقاً لـ«اتفاق الرياض» المُوقّع في تشرين الثاني 2019، وتوحيد صفوفهما ضدّ الجيش اليمني و«اللجان الشعبية» في جبهات البيضاء ومكيراس والضالع وكرش الواقعة على الحدود الإدارية بين محافظتَي تعز ولحج، فضلاً عن تعزيز جبهات مأرب وما تبقّى من مناطق في الجوف. لكن تلك الجهود بدت متعثّرة أمس مع إعلان «الانتقالي» انسحابه من مشاورات الرياض الهادفة إلى إحياء الاتفاق بينه وبين حكومة هادي.

وأفادت مصادر استخبارية في صنعاء، «الأخبار»، بأن قيادة التحالف السعودي - الإماراتي سلّمت قيادات قبلية وعسكرية في محافظة صنعاء، خلال الأيام الماضية، أكثر من 150 مليون ريال سعودي، وشحنة أسلحة خفيفة ومتوسطة، مقابل تصعيد الجبهات المحايدة في وادي ذنة شرق صرواح، والأخرى التابعة لقبيلة بني ضبيان التي تُعدّ إحدى أهمّ قبائل صنعاء، بهدف إعادة إشعال المعركة من شمال وغرب مأرب إلى جنوب صنعاء. ووفقاً لمصادر قبلية، فإن تلك المناطق المحايدة، كوادي ذنة، شهدت، أول من أمس، مواجهات استمرّت لساعات، من جرّاء تسلّل ميليشيات موالية لقوات هادي إلى الوادي المحيَّد وفق اتفاق بين قبائل بني ضبيان وخولان وحركة «أنصار الله» منذ سنوات. كذلك، نقلت «وكالة الصحافة اليمنية» عن مصادر قبلية حديثها عن تسليم «التحالف» تنظيم «القاعدة» في محافظة البيضاء شحنة سلاح جديدة وموازنة مالية بالريال السعودي قبل أيام، عبر القيادي في حزب «الإصلاح» أبو عبد الله المُسْدلي، الذي يُعدّ إحدى حلقات التواصل بين «التحالف» والتنظيم. وأضافت الوكالة أن الجانب

> **تجاوزت غارات طائرات «التحالف» في مأرب الـ200 غارة منذ مغادرة الوفد العُماني صنعاء**

السعودي طلب من المُسْدلي التنسيق مع «القاعدة»، لإشعال جبهات جديدة ضدّ قوات صنعاء، في عدد من مديريات البيضاء.

وكان الجيش و«اللجان» قد أحبطا، قبل أيام، هجوماً على معسكر الخنجر شمال الجوف، وهو ما تبعه تمرّد المئات من مجنّدي «اللواء 161 - مشاة» التابع لقوات هادي على قائدهم مطيع الدميني، كردّ فعل على مقتل العشرات من زملائهم في الهجوم الفاشل. ووفقاً للمعلومات، فإن منتسبي اللواء حمّلوا الدميني مسؤولية الخسائر البشرية الكبيرة التي تعرّضوا لها، وطالبوا بإقالته من منصبه، وتشكيل لجنة تحقيق في استهداف الطائرات السعودية العشرات منهم بعد فشل العملية، فيما عمد آخرون إلى قطع الطريق الرابط بين منطقة البتمة الحدودية ومحافظة الجوف، كردّ فعل على قيام مليشيات «الإصلاح» بشنّ حملة اعتقالات واسعة بحق ضبّاط اللواء ومجنّديه. وفي مأرب، اتّخذت المناوشات اتجاهاً تصاعدياً على مدى الأيام الماضية، حيث تجاوزت غارات طائرات «التحالف»، وفق الرصد اليومي لقوات صنعاء، الـ200 غارة، منذ مغادرة الوفد السلطاني العُماني العاصمة. وتزامن التصعيد الجوّي مع أخر برّي في جبهات محيط مدينة مأرب، من دون أن يستدرج الجيش و«اللجان» إلى ردّ واسع.

الأخبار
al-akhbar
السبت 19 حزيران 2021 العدد 4369

صورة وخبر

في القرن الثالث عشر، بنى الصليبيون قلعة حصينة على مرتفع في صيدا (جنوب لبنان)، بعدما قاد لويس التاسع الحملة الصليبية السابعة واحتلّ المدينة. توالت جيوش وجحافل على شَغل القلعة في استخدامات عسكرية، قبل أن تتحولّ في القرن الحادي والعشرين إلى منصة لتبادل مشاعر الحب. هكذا، كتب عاشق متيّم على واجهة القلعة عبارة اعتذار لحبيبته «زيزي»، لتنتقل العدوى إلى آخر قرّر البوح بحبّه لـ«منى» في المكان نفسه. (علي حشيشو)

حملة المقاطعة: خفّة القضاء التي لا تحتمل

أصدرت حملة مقاطعة داعمي «إسرائيل»، أخيراً، بياناً جاء فيه: «منذ تحرير العام 2000، لم تتعامل السلطات اللبنانية، بما فيها السلطة القضائية، مع ملفّ المتعاملين مع العدو الإسرائيلي بالجدية المنشودة، ويعود ذلك، في رأينا، إلى ضعف استقلالية القضاء اللبناني، الذي تتناهشه الولاءات والمحسوبيّات الحزبية والطائفية، وإلى انعدام الإجماع الشعبي اللبناني نفسه على العداء الراسخ والمتين لـ«إسرائيل».

مع الدخول في مرحلة انحلال السلطة في لبنان منذ سنوات، تراكمت حالات التساهل مع المتعاملين، بمن فيهم ذوو السوابق الخطيرة والماضي الشائن. وقد عرض الصحافي رضوان مرتضى (الأخبار 2021/6/14) بعض هذه الحالات، ومنها قضية العميل جعفر غضبوني، التي تستدعي إلى الأذهان قضية العميل عامر الفاخوري وتهريبه من لبنان.

لقد بات واضحاً أنّ التساهل المتعمّد، والخفّة المريبة في معالجة ملف المتعاملين مع العدو، يعبّران أبلغ تعبير عن عجز السلطة في لبنان عن اتخاذ أي قرار سيادي وطني حقيقي.

وعليه، تنبّه حملة مقاطعة داعمي «إسرائيل» في لبنان إلى استغلال السلطة اللبنانية العاجزة للظرف الراهن ـ من حالة طوارئ صحية وأزمة اقتصادية تهدّد أسس الكيان اللبناني ـ من أجل الإمعان في التساهل والتقاعس ومسايرةِ الأطراف الداخليين والخارجيين، خصوصاً الولايات المتحدة التي يحمل بعض العملاء اللبنانيين جنسيّتها.

وتدعو الحملة الجهات الشعبية والوطنية كافة إلى التصدّي الحازم لتهريب العملاء، وإلى رفض التساهل في الأحكام ضدّ كلّ من يتصل بالعدو. وستعمل الحملة على إيلاء هذه القضية الأهمية القصوى، تقديراً لذكرى شهداء مواجهة العدو، واحتراماً لعذابات الجرحى والأسرى والمهجّرين».

عبد المطلب في الحمرا ... «اسأل مرّة عليّ»

في الأوّل من تموز (يوليو) المقبل، تعود إلى «مترو المدينة» (الحمرا ـ بيروت) أمسية «اسأل مرّة عليّ» الغنائية، المخصّصة لأرشيف محمد عبد المطلب (1910 ـ 1980/ الصورة). يتولّى خضر رجب مهمّتَيْ الغناء والعزف على الكمنجة، على أن ترافقه فرقة موسيقية مصغّرة تضمّ العازفين: عمر عقباني (عود)، سام دبول (قانون) وأحمد الخطيب (إيقاع). الموعد الذي يستوحي اسمه من أغنية عبد المطلب التي كتبها علي السوهاجي ولحّنها سيّد مكاوي، يتضمّن باقة من الأغاني المختارة من ريبيرتوار الفنان المصري الراحل.

أمسية «اسأل مرّة عليّ»: الأربعاء 17 تشرين الأوّل ـ الساعة التاسعة والنصف مساءً ـ «مترو المدينة» (الحمرا ـ بيروت). للاستعلام: 76/309363

منال ملّاط: شرقي وغربي

تحيي منال ملّاط (1987 ـ الصورة)، في 25 حزيران (يونيو) الحالي، حفلة في NOW Beirut (الأشرفية)، حيث تلتقي الجمهور في سهرة تمزج فيها كالعادة بين السول والبوب والجاز. اشتهرت الفنانة اللبنانية الشابة في الموسم الثاني من برنامج «للعرب مواهب» (mbc)، وهي متأثّرة بنجوم عالميين من أجيال مختلفة، أمثال: شيرلي باسي، ويتني هيوسن، أريثا فرانكلين، آيمي وينهاوس، إيتا جونز وإديث بياف. وعلى الرغم من ميلها إلى الأعمال الأجنبية، تحجز ملّاط في حفلاتها حصّة وافرة للموسيقى الشرقية أيضاً.

حفلة منال ملّاط: الجمعة 25 حزيران ـ الساعة التاسعة والنصف مساءً ـ NOW Beirut (شارع سليم بسترس ـ الأشرفية ـ بيروت). للاستعلام: 01/211122

البحرين: أيّ واقع لضحايا التعذيب ومعتقلي الرأي؟

في مناسبة «اليوم الدولي لمساندة ضحايا التعذيب» الذي يصادف في الـ26 من حزيران (يونيو) من كلّ عام، تدعو «لجنة دعم الصحافيين» (JSC) و«منتدى البحرين لحقوق الإنسان» (BFHR)، اليوم السبت، إلى المشاركة في لقاء حواري رقمي حول «الواقع الحقوقي لضحايا التعذيب ومعتقلي الرأي في البحرين»، يجري عبر منصّة «زوم». تتحدّث خلال النشاط المرتقب مجموعة من الشخصيات من دول عربية عديدة هي: رئيسة الرصد والتوثيق في منظمة «سلام» للديمقراطية وحقوق الإنسان ابتسام الصايغ (الصورة)، وعضو شبكة «الهدف» للتحليل السياسي والإعلامي والعضو الممارس في «نقابة الصحافيين العراقيين» عبّاس العرداوي، ومسؤول كسب التأييد والمناصرة في منظمة «سلام» محمد سلطان، والمدرّبة في مجال حقوق الإنسان في الكويت هديل بو قريص، والباحثة في «منتدى البحرين لحقوق الإنسان» غنى رباعي، وعضو الهيئة التنفيذية في «لجنة دعم الصحافيين» عبد الحافظ معجب.

لقاء حول «الواقع الحقوقي لضحايا التعذيب ومعتقلي الرأي في البحرين»: اليوم السبت ـ الساعة السادسة والنصف مساءً بتوقيت بيروت ـ منصة «زوم» (رابط النشاط متوافر على موقعنا)

العملات الورقية اللبنانية تاريخ وغرائب

صدر أخيراً «الكتاب الأوّل من نوعه في العالم العربي» (بالعربية والإنكليزية)، المتعلّق بالعملات الورقية العالمية، تحت عنوان «العملات الورقية اللبنانية ـ أوائل وغرائب». يحوي كتاب حسين معّاز وأسامة شمس الدين خمسة فصول تضم مئات الصور الملوّنة وعشرات القصص والمعلومات. يتطرّق الفصل الأوّل إلى أشكال النقد الأولى غير التقليدية، ويتناول الثاني أوائل العملات المتعلقة بالعملات الورقية العالمية، ويسلّط الثالث الضوء على غرائب العملات العالمية، فيما يُخصّص الرابع لهواة جمع الطوابع والعملات. أما الفصل الخامس والأخير، فيتركّز حول تصاميم العملات اللبنانية التي لم يتم اعتمادها رسمياً ولم تصدر للتداول. للاستعلام وحجز النسخ: www.wpmbook.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 19 حزيران 2021
العدد 4369 السنة الخامسة عشرة
Samedi 19 Juin 2021 nº 4369 15ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

بورتريه
للشاعرة
الراحلة لفنان
الغرافيك رافي
نزار الحيدر

لميعة عباس عمارة
لو أنبأها العرّاف

خليل صويلح

انطفأت أمس لميعة عباس عمارة (1929- 2021) في منفاها الأميركي. كأن قدر الشعراء العراقيين الموت بعيداً عن دجلة والفرات وأشجار النخيل. ارتبط اسم صاحبة «لو أنبأني العرّاف» برواد الحداثة الشعرية العراقية أمثال بدر شاكر السيّاب، وبلند الحيدري ونازك الملائكة، وعبد الوهاب البياتي. وكان السيّاب أقرب الشعراء إليها، إذ اجتمعا في «دار المعلمين العالي» في بغداد كصديقين حميمين، وقد ترك موته المبكر ندبة في روحها كما تقول. لمع اسمها كشاعرة رومانسية عملت على تمجيد الأنوثة، في نصوص حسيّة مرهفة لا تنقصها الجرأة: «أحتاج إليك حبيبي الليلة/ فالليلة روحي فرس وحشيّة/ جسدي لا يحتمل الوجد/ ولا أنوي أن أصبح رابعة العدوية». هكذا اقتحمت بصوتها العذب وأنوثتها الطاغية الساحة الشعرية العربية، قبل أن تضطر إلى مغادرة العراق أواخر سبعينيات القرن المنصرم كمحصلة لمضايقات لا تحتمل، لينتهي بها المطاف في مدينة سان دييغو جنوب ولاية كاليفورنيا في منزل ضيّق، وذاكرة محتشدة بصور الأمس عن شاعرة متمردة رسمت خرائط الأنوثة بقلم ثخين، من دون ندم... كأنها عشتار أخرى في تمجيد الخصوبة. ولكن هل كانت صاحبة «أغاني عشتار» من ألهم السياب قصيدته «عيناك غابتا نخيل وقت السحر» حقاً؟ تجيب في حوار معها: «لا أدّعي ذلك ولا أثق بالشعراء. نعم هو قرأها لي، ولكنه كان يقرأ لي كل شعره. هو أضاف «مطر مطر مطر» في ما بعد، فهذا الجزء لم يكن في القصيدة».

بعد سبع مجموعات شعرية، أعلنت توقفها عن الكتابة بسبب الأمراض والشيخوخة والعزلة. كأن نهر الشعر جفّ لديها بعيداً عن منبعه الأصلي، لكنها ستحظى باهتمام نقدي لافت. قال عنها جاك بيرك إنها «شاعرة الرقة والجمال والأنوثة»، ووصفها الناقد علي الفواز بقوله «إنها كنخلة اجتثت من أرضها وهي اللصيقة بها حدّ الوله». كما رأى آخرون أنها الصورة الموازية لشعر نزار قباني في ما يخص المكاشفات الأنثوية. هذه الرقة التي وسمت شعرها، وضعتها في منطقة شعرية لا يمكن تجاوزها أو تجاهلها في سياق الحداثة الشعرية العربية في بواكيرها الأولى، فهذه شاعرة مسكونة بالشعر مثل جمرة مشتعلة على الدوام، جسداً وروحاً: «لو أنبأني العرّاف/ أنك يوماً ستكون حبيبي/ لم أكتب غزلاً في رجل/ خرساء أظلّ/ لتظلّ حبيبي» تقول. في ثمانينها، وكنوع من التحية لها، جمعت «دار جداول» البيروتية قصائدها الأخيرة تحت عنوان «أنا بدوي دمي»، قدّمه الكاتب الراحل ياسين رفاعية، وقد وصف الديوان بقوله «إنه ديوان دموع رحيلٍ وأشواق، ووداعات وحياة تمور بالشعر، إذ فيه يرود الربيع الشوارع ويدقّ على الأبواب. ديوان فيه الستائر ترفع والنوافذ تشرع».

ملف

النكبة في الرواية الفلسطينية... ساحة المواجهة والاشتباك

مصطفى بشارات

دلالات المواجهة الأخيرة بين الفلسطينيين والإسرائيليين حملت أبعاداً استراتيجية على مستوى الصراع بين الطرفين والمنطقة والعالم. أبرز الدلالات تمثّل في المستوى العالي من التضحية والبطولة والصمود الذي أبداه الفلسطينيون في تلك المواجهة، وحالة الوحدة التي حققوها رغم كل معوقات الجغرافيا التي توزعوا فيها منذ نكبة عام 1948، وكل سياسات «الأسرلة» و«التهويد» التي أخضعوا لها، ومعها جملة الجرائم التي ارتكبتها الحركة الصهيونية بحقهم.

حلول الذكرى الثالثة والسبعين للنكبة الشهر الماضي تزامناً مع هذه المواجهة، جاء بدلالة هي الأكثر أهمية: على خلاف الأيام التي حلّت فيها الذكرى خلال الأعوام الماضية، كان التركيز في ذلك اليوم على المواجهات التي عمّت كل أنحاء البلاد، ولم ينشغل الفلسطينيون بـ «ندب» حالهم.

في ظلّ هذا التوحد على المواجهة، بدا المشهد كأنّ الفلسطينيين لم يواجهوا بعد أي نكبة، كأن فلسطين لا تزال كاملة، لم تتقسم إلى داخل وضفة وقدس وغزة وشتات، كأن الشعب الفلسطيني لا يزال كتلة واحدة، وكأنت هناك صورة رقمية واحدة اقتصر الفلسطينيون على نشرها إحياءً لذكرى النكبة التي حلّت بهم قبل 73 عاماً. انقسمت الصورة إلى جزءين: في الجزء الأول، كتب المعلقون «15 أيار 1948. النكبة»، وفي الجزء الثاني كتبوا «15 أيار 2021. النصر».

ربما؛ لذلك، يكتسي البحث في موضوع «النكبة في الرواية الفلسطينية» أهمية خاصة هذا العام، تتبع، تحديداً، من التحولات التي قد تطرأ على قراءة المختصين لهذا الحضور. وهذا ما بدا واضحاً من خلال لقاء أجريناه مع الروائي والإعلامي والأكاديمي أحمد رفيق عوض والناقد والأكاديمي نبيه القاسم.

فشل أنسنة العدو

أحمد رفيق عوض (1960) المولود لأب لاجئ من قرية يانون، والمسكون بقصص والده عن البحر «أيام البلاد»، إلى درجة أنه ألّف رواية بتأثير من هذه القصص أطلق عليها اسم «بلاد البحر»، يقول إنه ليس هناك روائي فلسطيني لم تحضُر في باله هذه النكبة، مستدركاً: «لا أريد أن أقول إنها فوق التاريخ بالنسبة لنا كفلسطينيين، لكنها كبرت جداً إلى درجة أنّ الوعي كان التركيز في ذلك اليوم على المواجهات التي عمّت كل أنحاء البلاد، ولم ينشغل الفلسطينيون بـ «ندب» حالهم.

في ظلّ هذا التوحد على المواجهة، بدا المشهد كأنّ الفلسطينيين لم يواجهوا بعد أي نكبة، كأن فلسطين لا تزال كاملة، لم تتقسم إلى داخل وضفة وقدس وغزة وشتات، كأن الشعب الفلسطيني لا يزال كتلة واحدة، وكانت هناك صورة رقمية واحدة اقتصر الفلسطينيون على نشرها إحياءً لذكرى النكبة التي حلّت بهم قبل 73 عاماً. انقسمت الصورة إلى جزءين: في الجزء الأول، كتب المعلقون «15 أيار 1948. النكبة»، وفي الجزء الثاني كتبوا «15 أيار 2021. النصر».

ربما؛ لذلك، يكتسي البحث في موضوع «النكبة في الرواية الفلسطينية» أهمية خاصة هذا العام، تتبع، تحديداً، من التحولات التي قد تطرأ على قراءة المختصين لهذا الحضور. وهذا ما بدا واضحاً من خلال لقاء أجريناه مع الروائي والإعلامي والأكاديمي أحمد رفيق عوض والناقد والأكاديمي نبيه القاسم.

فشل أنسنة العدو

أحمد رفيق عوض (1960) المولود لأب لاجئ من قرية يانون، والمسكون بقصص والده عن البحر «أيام البلاد»، إلى درجة أنه ألّف رواية بتأثير من هذه القصص أطلق عليها اسم «بلاد البحر»، يقول إنه ليس هناك روائي فلسطيني لم تحضُر في باله هذه النكبة، مستدركاً: «لا أريد أن أقول إنها فوق التاريخ بالنسبة لنا كفلسطينيين، لكنها كبرت جداً إلى درجة أنّ الوعي رصد فيها الناحية التاريخية لما حصل في حيفا من عملية تهجير وقفت خلفها ممارسات بعض أبناء جلدتنا من خلال التخويف أو التشجيع على الهرب، كما أبرز دور الإنكليز في إذلال الإنسان الفلسطيني وإرغامه على الخضوع لسيطرة اليهود». يوضح القاسم أنه حتى سنوات الستينيات تقريباً «لم تكن لدينا رواية، بينما ظهرت النكبة خلال هذه الفترة في القصة القصيرة على الأطلاق (...) إنها نوع من الإهانة الشخصية لكل فلسطيني، وإهانة جماعية للفلسطينيين كلّهم». يفضل عوض: «في عام 1948، تغيّر كل شيء، وإذا كان السؤال «هل هذا الكلام ما زال موجوداً في الرواية الفلسطينية الحالية؟»، فإن ردّي عليه هو أنه موجود وغير موجود؛ لأن الروايات الفلسطينية الأخيرة - خلال السنوات الـ 15 الماضية - تغيّر فيها النقيض/ الآخر/ الإسرائيلي، وأصبح الحوار يُجرى معه من جهات وزوايا مختلفة، تارة تحت اسم «أنسنة العدو»، وطوراً من باب «التطبيع»، وتارة ثالثة بمنطق «الخضوع للقوة»، ورابعة تحت دعوى إمكانية «التعايش» (...) لقد تغيّر هذا المحتل الذي كان يمثّل عدواً دائماً وأشبه بسبيكة واحدة مصمتة». إلّا أنّ هؤلاء الذين سعوا لـ «أنسنة العدو» لم ينجحوا في مرادهم. وفق عوض «لم يُعطَ هذا العدو المجال على الإطلاق حتى يتأنسن. لغاية الآن، مشروعه قائم على أنقاضنا؛ والمشروع الصهيوني بشكله الأخير يكشف عن أنيابه باعتباره ينفينا تماماً من المكان كلّه، بزعم أنّ هذا المكان يهودي ويجب الاعتراف بأنه يهودي، وأننا أناس غير معرفين، يعترف بحقوقنا الفردية وليس الجمعية. وبالتالي، فإن هؤلاء الأفراد الذين يؤنسنون هذا العدو، يواجهون بكثير من الاعتراض والشجب. وأنا هنا لا أريد أن أعبّر عن رأيي الشخصي، لأنّ كثيرين عبّروا عن الرأي نفسه، لكني أعتقد أن هذه التوجهات في الرواية الفلسطينية أو العربية لا تلقى القبول الجماهيري؛ ليس لسبب فني في رواياتهم التي لا تفتقر إليه، لكن لسبب إنساني وثقافي».

غسان كنفاني ـ «النازح» (مواد مختلفة على كرتون ـ 36 × 50 سنتم ـ 1957 ـ يأذن من «مؤسسة بارجيل للفنون»/ الشارقة)

«مذكرات لاجئ» أول رواية تناولت الموضوع

الناقد والأكاديمي نبيه القاسم قال بدوره إن النكبة الكبيرة التي وقعت للشعب الفلسطيني، هو أنه تُرك من الجميع، وبشكل خاص من العرب. «المصيبة الأكبر أنّه ترك كل العبء والمسؤولية على الآخرين كي يقوموا بحلّ مشكلته، خصوصاً من قِبل الشعوب والأنظمة العربية، وهذا للأسف مستمرّ حتى يومنا هذا». يعتبر قاسم: «أن الشعب الفلسطيني، لو أخذ على نفسه، منذ البداية، أن يقوم بما يجب أن يقوم به لما كان حدث كل الذي حدث، ولما وقعت هذه المأساة الكبيرة». ويتابع: «هذا الجرح، عملياً، أثّر عميقاً، في الإنسان الفلسطيني، وتحديداً على من هجّر، أو قتل، أو فقد أفراد أسرته أو تشتتوا؛ وهذا يعني أن هذا الجرح لم يندمل وما زال موجوداً». لقد تناولت الروايات الفلسطينية التي كُتبت خارج الوطن المحتل، هذه القضية بشكل مؤلم جداً، مثل أعمال يوسف الخطيب وغسان كنفاني وآخرين، لكن في الداخل، يقول نبيه القاسم، إنّه بعد السنوات الأولى للنكبة «لم يكن لدينا رواية؛ والرواية الوحيدة التي يمكن أن تكون شبيهة بالرواية كانت بعنوان «مذكرات لاجئ» للمحامي توفيق معمر، صدرت في حيفا من عملية تهجير وقفت خلفها ممارسات بعض أبناء جلدتنا من خلال التخويف والتشجيع على الهرب، كما أبرز دور الإنكليز في إذلال الإنسان الفلسطيني وإرغامه على الخضوع لسيطرة اليهود». يوضح القاسم أنه حتى سنوات الستينيات تقريباً «لم تكن لدينا رواية، بينما ظهرت النكبة خلال هذه الفترة في القصة القصيرة على الأطلاق (...) إنها نوع من الإهانة الشخصية لكل فلسطيني، وإهانة جماعية للفلسطينيين كلّهم». يفضل عوض: «في عام 1948، تغيّر كل شيء، وإذا كان السؤال «هل هذا الكلام ما زال موجوداً في الرواية الفلسطينية الحالية؟»، فإن ردّي عليه هو أنه موجود وغير موجود؛ لأن الروايات الفلسطينية الأخيرة - خلال السنوات الـ 15 الماضية - تغيّر فيها النقيض/ الآخر/ الإسرائيلي، وأصبح الحوار يُجرى معه من جهات وزوايا مختلفة، تارة تحت اسم «أنسنة العدو»، وطوراً من باب «التطبيع»، وتارة ثالثة بمنطق «الخضوع للقوة»، ورابعة تحت

> نبيه القاسم: حتى الستينيات تقريباً، لم تكن لدينا رواية، بينما ظهرت النكبة خلال هذه الفترة في القصة القصيرة التي عالجتها بشكل رائع جداً

وكانت بدايتها في ثلاثية إميل حبيبي «المتشائل».

«مسار» افتان القاسم

الروائي والأكاديمي والإعلامي أحمد رفيق عوض تدخّل هنا شارحاً: «عندما وقعت النكبة، تُرك الفلسطينيون في الداخل بدون نخب تقريباً؛ فمعظم المثقفين والزعامات أُجبروا على الهرب، والسيطرة الإسرائيلية كانت كاملة وفرض المنهاج الإسرائيلي، وبالتالي تم حصار الفلسطينيين، ومسالة الأدب كانت نوعاً من الترف، وطال الأمر حتى استوعبوا ما حصل، فكان الشعر الأقدر على التعبير. النثر يحتاج إلى تحليل وتركيب؛ لذلك تأخرت الرواية، بل النثر كله، عند الأهل في أراضي عام 1948 حتى السبعينيات. كذلك، لم تظهر الكتابة عن النكبة في أراضي عام 1967 وفي الشتات إلا بطريقة أيديولوجية، بمعنى أن البعثي والشيوعي والإسلامي كتبوا في هذا المفهوم، وبالتالي، فإنّ ما صدر من روايات عن النكبة حتى السبعينيات فيها كثير من الأيديولوجيا وقليل من الفنّ». وعن حقبة السبعينيات، يوضح عوض: «هناك كتّاب رائعون جداً، سواء في الخارج أو الداخل، كتبوا في تلك الفترة روايات تناولت تفاصيل التفاصيل عن لحظة النكبة، في وقت تعذّر فيه على الكتاب الذين جاؤوا لاحقاً، الكتابة عنها بالقوة نفسها؛ لأنه كان يصعب عليهم التحديق في تلك الكارثة أو المصيبة كما وقعت في الحقيقة». ويشرح: «برأيي، فإن أروع من كتب عن التهجير - أي لحظة النكبة - هم كتّاب الخارج؛ لأنهم كتبوها باستعادة متمثّلة، ومتأتية لما وقع؛ لأن سنة 1948 بالنسبة إلى الفلسطينيين في المنفى سنة فارقة؛ لذلك كتبوا عنها الكثير الكثير».

ويتابع أحمد رفيق عوض: «في الداخل الفلسطيني، محمد علي طه، كتب كلاماً جميلاً عن هذه اللحظة، أتذكر أن لديه قصة تتحدث كيف كانوا في موسم حصاد القمح عندما حدث ما حدث. أما أطول وأعظم وأدق رواية فلسطينية عن النكبة فجاءت من فلسطيني الشتات وحملت عنوان «مسار» لأفنان القاسم.

في المجمل، يقول عوض، إن «لحظة النكبة رُصدت في الرواية الفلسطينية، نعم هناك فروق في الكتابة، لكن أسال، وهذا كلام مهم، هل تمت أسطرة ذلك؟ هل تم حمل هذه اللحظة الأسطورية للعالم؟ هل تم الاحتفاء بها عربياً؟ الجواب لا؛ لأننا نقاتل حركة صهيونية قوية جداً، تسيطر على المال والإعلام، هي من يؤصل ويؤيقن، ويصنع الأبطال أو يشيطنهم. وبالتالي، فإن لحظتنا المذهلة هذه لم يتم الارتقاء بها بتحويلها إلى فعل عظيم، كما لم يتم ذلك في السينما. وعليه فإن ما فعلناه نحن ـ الفلسطينيين ـ بعد ذلك بعشر سنوات، وكيف أن هذا الإنسان، وفي وقت كان يعاني فيه ذلاً كبيراً من المحتل الجديد، استطاع أن ينجب ولداً هو «ولاء» كبر وأصبح فدائياً. وهذا يعطينا الأمل بأن المستقبل هو للفلسطيني».

ويتابع قاسم: «في معظم الروايات التي صدرت في السنوات العشرين الأخيرة، نلحظ تجدّداً لدى الكاتب الفلسطيني، إذ لم يعُد يبكي على ما حدث وإنما يحاول أن ينقد ما حدث وأن يقف على بعض النقاط المهمة التي يرى ضرورة إبرازها ومن ثم ينتقل إلى مواجهة الآخر وتحديه (...) هذه الأمور تركت أثرها في الطرف الآخر»، مشيراً إلى أنه كتب عن روايتين لكتاب يهود نجد فيهما هذا التأثير الكبير للمواقف الفلسطينية على الفكر اليساري لكتاب يهود.

الرواية الأولى، يقول القاسم، هي «جدار حي» عالجت فيها الكاتبة اليهودية قضية الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، وحوت قصة حب بين فتاة يهودية وشاب فلسطيني من الضفة تعرفا إلى بعضهما في نيويورك، إلّا أن الفتاة ظلت على موقفها «أنتم في الضفة ونحن في الداخل/ إسرائيل» ولا مكان للقاء الكامل، حتى إن الكاتبة جعلت الشاب الفلسطيني يغرف في بحر يافا الذي يعتبره بحره بينما اليهود يعتبرونه بحراً لهم.

كان تعليقي على الرواية، يقول الناقد والأكاديمي نفسه، بأن «هذا الحلم بالسلام بين الشعبين من المستحيل أن يحدث»، ويضيف: «هذا ما نجده أيضاً في آخر رواية لمحمد علي طه «دوار العز»، إذ يؤكد أن التعايش بين الشعبين مستحيل أو شبه مستحيل بسبب طبيعة الفكر الصهيوني الذي يرفض أن يعترف بالفلسطينيين كشركاء حتى في عملية سلام؛ لأن هذا الفكر يعتبر أن السلام أكبر خطر على دولة إسرائيل».

روايات الجيل الثالث

يعرّج أحمد رفيق عوض على روايته «بلاد البحر» لارتباطها العميق بموضوع النكبة، قائلاً إنّه كتبها من أجل الاحتفاء بذكرى والديه. يضيف: «هذه الرواية عن النكبة ولكنها عن أرض فلسطين الباهظة الثمن وشديدة الحضور (...) أنا كتبتها بدون فواصل، بدون عناوين، كتبتها مرة واحدة، كتبت عن أسماء العصافير والورد والحجارة وقطع الأرض والأساطير، عن الماء وجداول الماء والروائح والأساطير، عن الشمال ودير الأسد وفسوطة وسهل الروحة وقاقون وكفر قرع والسنديانة (...) أنا كتبت عن بحيرة طبرية قبل عام 1948، وعن كل ما يمكن أن يقال عن هذه البلاد الغريبة/ العجيبة». ويتابع عوض: «أنا ابن الجيل الثاني للنكبة، وبالمناسبة أبناء هذا الجيل ومعهم أبناء الجيل الثالث يكتبون عن النكبة بطريقة أكثر عمقاً، وأكثر حفراً، وأكثر تحليلاً لما جرى» موضحاً أنه، و«على العكس من الرواية الصهيونية التي تغيرت فأصبح الصهاينة ينقضّون أنفسهم «ويحفرون تحت حالهم» فإننا، نحن الفلسطينيين، تحولت النكبة لدينا كحجر أساس في وعينا باتجاه تجاوزها».

كما أوضح عوض أن هناك اتجاهين روائيين فلسطينيين في تجاوز النكبة: اتجاه غير صحيح وغير مقبول من وجهة نظري، واتجاه أقبله ويقول إنه حتى تجاوز النكبة هناك طرق محددة ومعروفة (...) لهذا السبب، فإن الجيل الثالث للنكبة جيل أقوى وأقدر وأهم ولديه قدرة على المواجهة والثبات، وهذا يفسر كيف انكسرت مقولة «الكبار يموتون والصغار ينسون»، فذكرى ما وقع ستبقى حاضرة في الرواية وغيرها».

وعن تفسيره لذلك، يقول أحمد رفيق عوض: «كلما ابتعدنا عن هذا الجرح النفسي زمنياً، يكبر ويحضر ويؤثر بشكل كبير جداً، وأنا أقول كمواطن وروائي ومشتبك مع كل ما يجري إنّ الـ48 تشكل بالنسبة إليّ تاريخي، من هناك يبدأ تاريخي القومية الفلسطينية بمعناها الجزئي، كيف أحدد هويتي والجغرافيا الخاصة ببلدي ونفسيتي وثقافتي، تبدأ من عام 48، لأنه كان هناك، وقتها، قبل رفسني خارج التاريخ، وخارج الجماعة، وخارج الكون». ويتابع: «الـ48 بالنسبة إليّ هي تعريف لكل شيء، للهوية الذاتية والجماعية للفلسطينيين، ومن لا يريد أن يعترف بذلك فهذا شأنه، أما بالنسبة إليّ، فإن الـ48 هي الحد الأول وحجر الزاوية».

الحدث... دراميا

يقول نبيه القاسم: «ما وقع عام 48 يستحيل على أي فلسطيني أن ينساه، ليس لأنه حدث كبير وهاوية عميقة جداً سقط فيها الفلسطيني، وإنما لأن الواقع منذ عام 48 وحتى اليوم لم يتغيّر، فما زال الفلسطيني يواجه التصلب والصلف والإذلال من قِبل إسرائيل، فالنكبة الفلسطينية لم تتوقف عام 48، بل هي مستمرة حتى اليوم، وما حدث أخيراً في الضفة والقدس وغزة والداخل، يؤكد على ذلك».

ويضيف: «بالنسبة إليّ، فإن تحويل النكبة الفلسطينية إلى حدث درامي كمسلسل «التغريبة» وغيره، يمثّل أمراً مهماً جداً يجب أن نشجعه وننتج أعمالاً درامية مماثلة؛ لأن الجيل الجديد الذي ربما لا يقرأ كما الأجيال التي سبقته، ستقدم له مثل هذه الأعمال الدرامية المعلومة وتحيي فيه المشاعر وتجعله يلتصق أكثر بما وقع لأبناء شعبه من مآسٍ عام 48 قبل أن يولد. وبالتالي يجب أن تظل الذاكرة الفلسطينية، ولدينا في الداخل الكثير من الأفلام التي تتحدث أيضاً عن نكبات غير تلك النكبة التي وقعت عام 48 يعيشها الفلسطيني ويعاني منها وتفعل فعلها مع الأجيال الجديدة».

بدوره، يختم رفيق عوض بأنّ الرواية الفلسطينية التي عمرها اليوم 100 عام، «عبّرت عن عدوها ونقيضها ومرّت بمراحل مختلفة، من الرفض المطلق، إلى ما نشهده اليوم من قبول مشروط (...) الرواية الفلسطينية التي بدأت ترفض المحتل من بداية القرن وأصبحت الآن تحاوره أمر نتيجة الانهيارات المختلفة، من أنظمة وأفكار ومجتمعات، وبسبب تغوّل الإمبريالية والفكر الصهيوني. هذا التغوّل أثّر في الرواية، ولكنها من أكثر الأسلحة الثقافية الفلسطينية تعبيراً عن الحراكية الفلسطينية، من نضج وجمال، وبالتالي فإنها فضاء جميل ورائع وحضاري للحضور والفعالية والمواجهة والاشتباك».

أما القاسم فيختم بأنّ «الرواية قامت عملياً بدور مهم جداً في ترسيخ آثار وأحداث النكبة لدى الأجيال الفلسطينية المتعاقبة وحافظت على إنسانية الإنسان الفلسطيني، ولم تكن عنصرية، بل كانت واعية لدورها في الحفاظ على الأجيال الطالعة بأن تذكّرها بما كان، ولكن مع إعطائها الأمل بأن المستقبل ليس أسود كما يعتقد بعضهم، وأن بإمكانه أن يتغير إلى الأفضل». يضيف: «صحيح أنّ هناك تغيراً في التعامل مع الآخر، إلا أن الوعي بدأ يظهر أكثر، ليس فقط في أن نتعامل معه بشكل آخر، وإنما أيضاً في الندية: لقد بدأنا من خلال روايتنا وغيرها ننظر إلى الآخر اليهودي بندّية، نطالب بحقنا ليس من منة منه بل لأنه حقّ لنا، وأن نواجهه أيديولوجياً بفكره الصهيوني العنصري، ونعلمه أن لدينا فكراً وأيديولوجيا يجب أن يقبله وأن يتعامل معه، وما بدأ يظهر في روايات السنوات الأخيرة بما يبشّر بالأفضل، حتى إنّ الرواية الفلسطينية بدأت ترقى فنياً وتأخذ اهتماماً أكثر وأكثر».

> أحمد رفيق عوض: لم تظهر الكتابة عن النكبة في أراضي عام 1967 وفي الشتات إلا بطريقة أيديولوجية، بمعنى أن البعثي والشيوعي والإسلامي كتبوا في هذا المفهوم

مقتطف من رواية

أحلام الخالة ميمونة (*)

محمد سعيد احجيوج

مباشرة بعد حرب 1967، وجد عمران نفسه مسكوناً بحلم الهجرة إلى أرض الميعاد. لم يعد مهتماً بمتابعة دراسته في فرنسا كما كان يخطط من قبل. لكنه منذ يومه الأول في «إسرائيل» وجد نفسه في مكان غريب. اصطدمت أحلامه بصخرة الواقع الصلبة. لم يستطع التكيف. بعد عامين في قرية الشباب الدينية وثلاثة أعوام في الخدمة العسكرية وعام من الإحباط بعد إصابته في حرب 1973، لم يستطع البقاء أكثر. نفى عمران نفسه إلى فرنسا وبدأ حياة جديدة هناك. تابع دراسته ثم اشتغل صحافياً وناقداً أدبياً. غير أن الحلم اليهودي عاد ليواجهه مجدداً، حين جاءه صديقه الناشر فرانز غولدشتاين بطلب لا يمكن رفضه. أراد منه فرانز أن يكون يهودياً صالحاً وأن يخدم بني جنسه ووطنه «إسرائيل». أراد منه أن يسهل فوز رواية محددة بالجائزة الأدبية التي يشارك عمران في لجنة تحكيمها. لكن عمران سيقول لا، وستنقلب حياته رأساً على عقب.

من خلال ذلك الصراع بين عمران وفرانز، تنفتح الرواية على حكايات فرعية متعددة ومسارات متداخلة، وتفتح نافذة على مرحلة تاريخية مسكوت عنها في تاريخ المغرب. مرحلة الهجرة السرية ليهود المغرب إلى «إسرائيل»، بإشراف الموساد، التي توقفت بعد غرق السفينة إيجوز، ثم استئنافها باتفاق سري مع ملك المغرب الحسن الثاني.

تبدأ الرواية باستيقاظ عمران في غرفة بيضاء مسكوناً بهاجس الكتابة ليحمي ذاكرته من الضياع، وتنتهي الرواية باستيقاظه مرة أخرى في غرفة بيضاء أخرى، وهو مسكون بالهاجس ذاته لمواصلة الكتابة. تنتهي الرواية كما بدأت، بالجملة ذاتها تتردد في عقل عمران بصوت فرانز: «مسيو عمران المالح، سنقدّم لك عرضاً لا يمكن رفضه. مرّر رواية «اليوم المقدّس» إلى القائمة القصيرة وستحصل فوراً على شيك بعشرين ألف فرنك، وعقد غير مسبوق لنشر رواياتك الأولى».

لم تكن قد مرّت عليّ سوى بضعة أشهر منذ أكملت فترة الخدمة العسكرية الإلزامية حين جاء نفير يوم كيبور مستدعياً كلّ الجنود. في وهلة، فكّرت في تجاهل النداء. لا أعرف لما فكّرت في ذلك، لكنّني عرفت يقيناً أنّني لن أستطيع تحمّل تبعات ذلك التجاهل. تهمة الخيانة العظمى ستكون جاهزة لإعدامي. غالبت أفكاري الجامحة ورميتها جانباً، وتركت هيّتي الإسرائيلية تتسلّم زمام قيادتي وتدفعني نحو إخراج بذلتي العسكرية، والجري سريعاً نحو ما كنت أعرف بشكل ضبابي أنّه مصيري المحتوم. المصير الذي حذّرتني منه الخالة ميمونة حين زارتني في منامي الليلة التي سبقت مغادرتي المغرب. نظرت إليّ طويلاً، حتى سالت دمعتان على خدّيها. مسحت دمعتيها وربّتت، بأصابعها المبتلّة، خدّي الأيمن. رجتني ألّا أهاجر، أن أبقى في المغرب، وإلّا فإنّني سأجد نفسي، أكثر من مرّة، في خضمّ حروب لا ناقة لي فيها ولا جمل. استيقظتُ ولمست الخدّ حيث ربّتت كفّ الخالة ميمونة. كان الخدّ دافئاً فشعرت بالحنين إلى جارتنا ميمونة التي كنتُ سمعت أنّ عمر ميمونة بعثة، مباشرة بعد انتقال عائلتي من مكناس إلى الدار البيضاء. حالات اختفاء اليهود المباغتة كانت قد غدت مألوفة، وهي تعني أنّ المختفي قد هاجر، غالباً إلى «إسرائيل»، وإن كان ميسور الحال، فإلى فرنسا. غير أنّني كنت أعرف يقيناً أنّ الخالة ميمونة تعتبر المغرب وطنها الذي لا تعرف غيره، ولا يمكن أن تكون قد هاجرت إلى أرض الميعاد. عرفت أنّ لاختفائها سرّاً، خصوصاً أنّني لم أنس يوماً الحكاية القديمة التي تُحكى عنها.

تعود الحكاية إلى أربعين عاماً مضت قبل اختفائها الثاني، حين، في اليوم الذي تفتّحت فيه زهرة ربيعها العشرين، تزوّجت. كان أبوها يجنّ بعدما بحث عنها، وبحث معه كلّ رجال الملاح، أشهراً من دون جدوى. قبل إن شابّاً مسلماً غرّر بها وأوقعها في شباكه ثمّ تركها. بعض الشبّان أقسموا على ذلك، لكن تبيّن لاحقاً أنّهم كذبوا لتصفية حساب شخصي لديهم مع ذلك الشابّ. يقال إنّ والد ميمونة وبعض الرجال كمنوا للشاب وأتوا به معصوب العينين مكبّل الأطراف إلى كوخ مهجور في المقبرة عند أطراف الملاح. اعترف الشاب بكلّ ذنوبه وخطاياه، بعدما كُسرت مفاصل أصابع يده وخلع أحد أضراسه، لكنّه لم يكن يعرف شيئاً عن الشابّة المختفية ميمونة. في النهاية، استسلم الأب لقضاء الرب وتفرّغ لخدمة المعبد والدعاء ليل نهار للربّ أن يعيد إليه ابنته، التي كانت تؤنس وحدته مُذ رحلت زوجته يوم وضعها، كما أعاد من قبل يوسف إلى يعقوب. واستجاب الربّ بعد عام. بعد تمام السنة على اختفائها، عادت ميمونة، ولم تكن وحدها. عادت تحمل بين ذراعيها رضيعاً في شهوره الأولى.

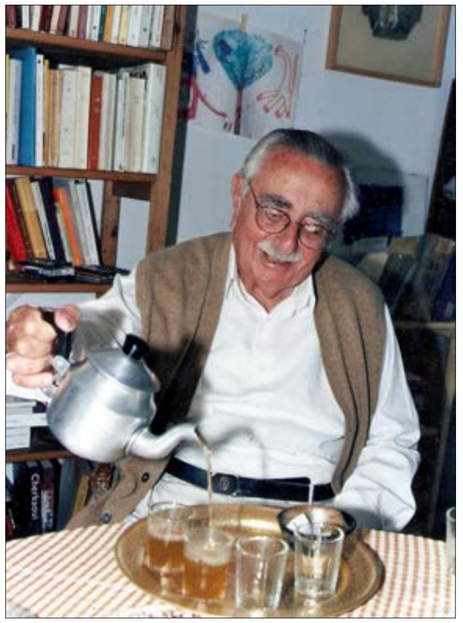

ادمون عمران المالح في بيته في الرباط (بلوك/ سبتمبر 2001).

بُهت كلّ من رآها، وفقد أبوها قدرته على الوقوف حين جاء يهرول لاستقبالها بعدما سمع خبر عودتها ورأى الرضيع بين ذراعيها.

لم يكن سهلاً أن يصدّق أحد حكاية ميمونة. قالت إنّها سمعت ذات ليلة الربّ يناديها فخرجت إلى الصحارى والقفار حتى وصلت إلى كهف في جبل ناء، وهناك استقرّت تصلّي ليل نهار وتتلقّى عطايا الربّ، إلى أن سمعت ذات فجر بكاء طفل، فخرجت لتجد رضيعاً في لفّة عند باب الكهف، حملته، وبتلقائية فطرية، القمته ثديها البكر، ورأت اللبن يتدفّق إلى فم الرضيع. ابتسمت وعرفت أنّ موعد عودتها قد حان. «عمران»، قالت ميمونة للجموع المحيطة بها تستمع إلى حكايتها، وأكّدت بقامة شامخة: «اسمه عمران. إنّه ابني، ابن الصحراء. إنّه ابن الربّ». لم يتحمّل الأب المزيد، وأرسل كفّه إلى وجه ابنته. أقسم كثيرون أنّ صوت الصفعة بدا أنّه صوت الرعد، وأقسم آخرون أنّهم شعروا بالأرض تهتزّ تحت أقدامهم، لكنّ ميمونة لم تهتزّ قيد أنملة. فقط غطاء رأسها انفلت وانزلق، وآنذاك بُهت الجمع مجدّداً. هذه المرّة أمام بياض شعرها الناصع. يعرف الجميع أنّ شعر ميمونة حريريّ أسود فاحم كان يتغزّل به كلّ شباب الملاح. لكنّه صار الآن أبيض تماماً. أبيض كالثلج. فكّر البعض في أنّ الخطيئة لا يمكن أن يكون لونها أبيض، وتساءل آخرون أيّ هول شاهدته المسكينة ميمونة.

لم يجرؤ أحد على تصديق حكاية ميمونة علناً رفض الأب استقبالها وأقسم أن يحرق كلّ بيت في الملاح يقبل بها. خرجت ميمونة بالشموخ ذاته الذي أتت به، وعُرف لاحقاً أنّ شيخاً مسلماً استقبلها في غرفة خارجية ملحقة ببيته، واشتغلت لديه خادمةً تقوم بأمور البيت. أمّا أبوها فتوقّف عن خدمة المعبد وتوقّف عن دعوة ربّ إسرائيل، وعثروا عليه ذات صباح، بعد أشهر، في خندق لتصريف الفضلات، ورائحة الخمر في فمه تغطّي رائحة الفضلات على ملابسه. آنذاك، عادت ميمونة إلى بيت أبيها. في البداية، كان الكلّ يتهرّب منها، ثمّ بدأ بعض الجارات المتقدّمات في العمر يشفق عليها، ثمّ صار الجميع يتقرّب منها، نساءً ورجالاً، بعدما عرفوا بركاتها وقدراتها الشفائية. قيل إنّ أنامله لا تلمس جسداً عليلاً إلّا وقام صاحبه معافًى صحيحاً سليماً. قيل إنّ أنامله لا تمسّد شعر عذراء إلّا جاءها خاطب في اليوم التالي. قيل إنّها لا تلمس بطن عاقر إلّا وجاءها الوحم في الشهر ذاته.

ثمّ انكشف السرّ يوم همس حاخام مكناس في أذنها بكلمات ما كان يجب أن يهمس بها. فالأمر كان يجب أن يبقى سرّاً كما تنصّ التعاليم، غير أن حماسة الحاخام كانت أكبر من حرصه. همس لها بأنّها واحدة من الورعين الستّة والثلاثين.

لم تفهم الخالة ميمونة شيئاً في البداية. ثمّ بحثت العالم، القوّة لتصحيح الأخطاء الكبرى والحفاظ على استقرار حياة الإنسانية. لكنّها في تلك الليلة الباردة صلّت كثيراً، وبكت كثيراً، ورجت إلوهيم كثيراً، من دون فائدة. استعطفت حتى بحّ صوتها وبكت حتى جفّت مدامعها ولم يبق أمامها في النهاية إلّا أن تعرض روحها خالصة قرباناً عن الأطفال في جوف السفينة، لكنّ ربّ إسرائيل صمّ أذنيه عن صلواتها، وشاءت حكمته أن تغرق السفينة. لم تتقبّل الخالة ميمونة عزوف الربّ عن استجدائها فكفكفت دموعها وانقلبت على عقبيها، مصرّة على أنّها ستلقى خلف ظهرها تعاليم التوراة، كلّ التعاليم، وتتخلّى عن كونها واحدة من الصالحين الحاملين أنوار القداسة الربّانية.

وصلت إلى الجبهة في الصباح التالي ليوم النفير، وكانت كلّ قوّات الاحتياط قد التحقت بمراكزها. كانت مهمّتي، برفقة الكتيبة، توفير الدعم لحماية مركز اتّصالات ومخزن ذخيرة في ممرّ حيوي في سيناء. لكن، مجرّد وصول الكتيبة، في اللحظة التي نزلنا من الشاحنة، سمعت هدير الطائرات المصرية، المنخفضة جدّاً، ورأيت قنابلها تهوي علينا مباشرة. آخر ما رأيته كان كتلة من اللهب تنطلق من المركز الذي ذهبنا لحمايته، ثمّ وجدت نفسي أطير إلى الخلف أماتاً قبل أن أسقط على الرمال الصلبة. أغمضت عينيّ وفتحتهما فوراً. شعرت بهدوء مباغت وراحة كبيرة. لكنّني لم أرَ شيئاً. كان الظلام دامساً، بل كان الظلام كتلة مجسّدة. فكّرت في أنّني قادر على إمساكها بيدي. رمشت كثيراً ودرت حول نفسي أكثر من مرّة قبل أن أرى نقطة ضوء تقترب. تقترب وتتّسع حتى بدت لي أخيراً نفقاً مضيئاً يقود إلى مكان ما. لا أتذكّر أنّني جزعت أو تردّدت، بل خطوت بثقة نحو نفق الضوء، وبغتة وجدت نفسي داخل غرفة مشعّة بالبياض. كانت الخالة ميمونة هناك، جالسة على طرف سرير، تبتسم. أشارت لي بالاقتراب. أمسكت بكفّي وأجلستني جانبها. ربّتت خدّي وابتسمت ابتسامتها الحنون التي لا تخلو من حزن عشّش في أوصالها طيلة سنوات. قالت لي من دون أن تحرّك شفتيها: «ولدي، منذ اليوم أنت خليفتي». لم يتسنّ لي أن أسألها عن قصدها، فقد شعرت بقوّة رهيبة تضغط عليّ. شعرت بأنّني أنسحق، وصرخت. فتحت عينيّ وصدى صرختي ما زال يتردّد في أذنيّ. وجدت نفسي آنذاك في المستشفى العسكري في تلّ أبيب، وقيل لي إنّ الحرب قد وضعت أوزارها.

بعد أن استيقظت يومذاك في المستشفى العسكري، شغل بالي أمران اثنان لا غير؛ أوّلاً، الشلل الذي شعرت به في فخذي، وعدم قدرتي على السير باتّزان بسبب عملية إزالة الشظيّة الكبيرة من مخلّفات الانفجار، التي انغرست في فخذي. وثانياً المفاجأة التي استقبلتني بها مرآة الحمّام حين ذهبت إليه أوّل مرّة بعد الاستيقاظ. اعتقد أنّ كلّ نزلاء المستشفى ورُوّاده سمعوا ذلك المساء صرختي المذعورة، صرختي المجنونة، صرختي الحيوانية.

«سيّدي، ما الخطب؟».

جاءت إحدى الممرّضات على عجل وسألت السؤال وهي تتلفّت في أرجاء الحمّام وتنظر إلى جسدي الذي بدا لها سليماً.

انعقد لساني وانحبس الكلام. أشرت بإصبعي إلى شعر رأسي، الذي صار أبيض. أبيض تماماً كقطن ثلجي.

ابتسمت الممرّضة وتقدّمت تتابط ذراعي وتعيدني إلى الفراش.

«لا داعي للقلق. الحرب تفعل ذلك، وأنت لست الأوّل ولا الأخير. ليس في الأمر ضرر على صحّتك».

«ولكن»، لم أقوَ على الاستمرار واقفاً فتهاويت على السرير. «كيف حدث هذا؟».

«يمكنك أن تسأل الطبيب لمعلومات أدقّ. لكن باختصار، يمكن في حالة الفزع والشدّ العصبي أن يفرز الجسم مباشرة في الدم إنزيمات سريعة الانتشار قادرة على أكسدة الميلانين في الشعر بسرعة خارقة. «هل تعلم أنّ ماري أنطوانيت أبيض كامل شعرها خلال الساعات التي سبقت اقتيادها إلى المقصلة، أثناء الثورة الفرنسية، إلى درجة أنّهم لم يتعرّفوا إليها؟» هزّت الممرّضة كتفيها وضحكت ضحكة خفيفة، «الآن سرّ التحوّل المفاجئ للون الشعر إلى الأبيض مرضاً يسمى متلازمة ماري أنطوانيت».

لا. ليس هذا هو السبب. لكني لا أتذكر الآن.

(*) مقتطف من رواية «أحجية إدمون عمران المالح»، الصادرة أخيراً عن «هاشيت أنطوان/نوفل» (بيروت). محمد سعيد احجيوج كاتب مغربي، من مواليد طنجة المغربية عام 1982. أصدر من قبل مجموعتين قصصيتين، هما «أشياء تحدث» (2004) و«انتحار مرجأ» (2006). كما أصدر مجلة «طنجة الأدبية» (2004-2005) وعدداً من المشاريع الأدبية والثقافية. صدرت له في القاهرة نوفيلا «كافكا في طنجة» (2019).

شعر

السلم يأتي بالصباح: سبع قصائد من الشعر الإيراني الحديث (*)

ترجمة موسى بيدج

1. نيما يوشيج: حتى الصباح

مصباحي مضاء
حتى الصباح
في هذا الليل المحموم
أبني جداراً أعلى
في دار العميان هذه
يشير أعمى
جدارك ما أكثر عيوبه؟!
يعتب آخر
لم هكذا، لم ذلك؟!
وأنا أضع لبنة على لبنة
في دار العميان هذه
كي أصنع لهم ظلاً
تقيهم من حرارة شمس غد
مصباحي مضاء
حتى الصباح
في هذا الليل المحموم
أبني جداراً أعلى
في دار العميان هذه.

- نيما يوشيج: رائد الشعر الإيراني الحديث (1895-1959). من أعماله: «أسطورة»، «قصة اللون الباهت»، «عائلة الجندي»، «أيها الليل»، «ماء في منامة النمل».

2. أحمد شاملو: رثاء

[إلى ذكرى الشاعرة فروغ فرخزاد]

باحثاً عنك
أبكي
على عتبة الجبال
على بوابة البحار والأعشاب.
باحثاً عنك
أبكي
في معبر الرياح
في تقاطع الفصول
في أضلاع مكسورة لنافذة
صنعت للسماء الغائمة
إطاراً عتيقاً.
في انتظار صورتك
إلى متى
وكم ستنطوي أوراق
هذا الدفتر الخالي.
استجيب لهبوب الرياح
وللحب
وهو أخو الموت
والأبدية
قاسمتك أسرارها
فتجسدت كنزاً
ضرورياً وباعثاً للحسد
كنزاً
من تلك التي تجعل
التراب والديار محبباً هكذا!
اسمك فلق
يعبر على جبهة السماء
بوركت اسما.
ونحن ما زلنا
تدور بنا الأيام والليالي
تدور بنا الأحايين..

- أحمد شاملو (1925-2000)، من أعماله: «أغان منسية»، «ثلاثة وعشرون»، «هواء نقي»، «أيدا في المرآة»، «تبرعم في الضباب»، «حديد وإحساس».

3. سياوش كسرائي: الموجة

كنا موجتين مسافرتين
عائمتين عابرتين
نحو السواحل الخفية
محتاجتين للهروب
للصعود
للهبوط
مسرعتين مسرورتين
متكاتفتين بطيبة
كنا نتطارح بين طيات البحر
وفي ليلة لبلاء
هبت عاصفة هوجاء
وانتزعت حبي من حضني
وتفارقنا
وتناثر عقد اللؤلؤ في الأمواج
ومن تلك اللحظة
أبحث عن توأمي
في هذا البحر البعيد عن الشمس
توأمي الذي
كان مصباحاً يتلألأ في الظلمة
أبحث عنه مكتئباً
متراكضاً في كل الجهات
وحيداً.
في انتظار صورتك
إلى متى
وكم ستنطوي أوراق
هذا الدفتر الخالي.
استجيب لهبوب الرياح
وللحب

- سياوش كسرائي: (1926-1995)، من أعماله: «أرض رامي النبال»، «دم سياوش»، «الحجر والندى»، «أربعون مفتاحاً»، «نجوم السحر»، «هدية إلى التراب».

4. بيجن جلالي: قصيدة

إذا طلبني أحد
قولوا ذهب لمشاهدة المطر
وإذا أصر
قولوا ذهب لرؤية الطوفان
وإذا ألح
قولوا ذهب كي لا يعود ثانية.

■■■

كنت أتمنى الموت في صوتك
أو الذهاب مع صوتك
أو الانطفاء عند صوتك
لكن صوتك
انطلق كما الريح
وها أنا عالق في أحضان الظلام.

- بيجن جلالي: (1927-1999)، من أعماله: «الأيام»، «قلبنا والعالم»، «لون المياه»، «الماء والشمس»، «يوميات»، «لعبة الضوء».

5. سهراب سبهري: الضوء وأنا والورد والماء

لا غيم
لا ريح
أجلس عند الحوض:
دوران السمك، والضوء، وأنا، والورد،
والماء
وطهارة عنقود الحياة
أمي تقطف الريحان
خبز وريحان وجبنة، وسماء بلا
غيمة، وبتونيا مبللة
الفلاح قريب، بين ورود الباحة
كم يتفتح النور في وعاء النحاس!
السلم يأتي بالصباح
من أعلى الجدار إلى الأرض
كل شيء مختبئ خلف الابتسامة
في جدار الزمن كوة
يظهر من خلالها وجهي
توجد أشياء لا أعرفها
أعرف لو أنني قطفت نبتة سوف
أموت
أحلق في الأعالي، أنا مفعم بالأجنحة
والريش
إنني أرى في الظلام، أنا مفعم
بالفوانيس
أنا مفعم بالنور وبالرمل
ومفعم بالحراشف والأشجار
مفعم بالطرق، بالجسور، بالأنهار
بالأمواج
مفعم بظلال ورقة في الماء
وكم وحيدة أعماقي.

- سهراب سبهري: (1928-1980)، من أعماله: «موت اللون»، «حياة الأحلام»، «أنقاض الشمس»، «شرق الحزن»، «صوت أقدام الماء».

6. فروغ فرخزاد: جمعة

جمعة صامتة
جمعة مهجورة
جمعة حزينة، كالأزقة القديمة
جمعة أفكار كسولة ومريضة
جمعة دون انتظار
جمعة استسلام.
بيت خاو
بيت مغموم
بيت مغلق في وجه النشاط
بيت ظلام وتوهم الضياء
بيت وحدة وتفاؤل وشك
بيت ستار وكتاب وصندوق وصور.
آه، كم كانت تمضي ببطء وكبرياء
كساقية غريبة
في قلب هذه الجمع الصامتة
المهجورة
في قلب هذه البيوت المغمومة
كم كانت - حياتي الخاوية - تمضي
ببطء وكبرياء.

- فروغ فرخزاد: (1934-1966)، من أعمالها: «التمرد»، «الأسير»، «الجدار»، «ولادة أخرى»، «لنؤمن بحلول فصل البرد».

7. احمد رضا احمدي: قصيدة

كان زمن
كنت أشبع فيه بكسرة من خبز
وأعود إلى البيت بابتسامة
كنت أحب الباصات المكتظة
بالمسافرين
لم أكن أتوقع
أن يقدم لي أحد
مقعداً في الشمس
ولكنني
كنت أتوقع أن أهدى وردة حمراء.

- أحمد رضا أحمدي: (1940-)، من أعماله: «جريدة زجاجية»، «وقت المصائب الجميل»، «أنا بكيت بياض الفرس فحسب»، «نحن موجودون على الأرض»، «بقعة من العمر على الجدار»، «نثر يومي»، «عن المطر الذي هطل متأخراً».

(*) منتخبات من كتاب بالعنوان نفسه، صدر حديثاً عن «دار أروقة» القاهرة.

سهراب سبهري: بدون عنوان (ألواح مائية على ورق، 1960)

ملاحظات امرأة عاطفية وغريبة

هدى عمران *

كل ضربة على جسدي هي عمر ضائع
كل زمن هو نفسه
كل عالم خيالي، موت هنا
كل غزالة هناك تعني قاتلاً هنا
كل روحي غارقة في دماء
كل لعنة مني جوع يأكل حياتكم
ثلاثون عاماً من دفع الأثمان لم تجعلني امرأة.
سأمشي - مضطرة- بكل هذا الألم
سأمشي ولن تتوقف قدمي يوماً.

■■■

الزواج هو الآخرة،
حيث نعبر الدنيا مضطرين
لنترك الأهل والماضي
منتظرين ريشة العدالة بقلوب خفيفة
حيث بيوتنا قبورنا
نزيّنها بكل ما تمنيناه في نسخة أخرى من الحياة،
نسخة العائلة غير الرومانسية التي سنلعنها كلما كنا داخلها، وسنشبهها كلما ابتعدنا عنها.
في الحياة الأخرى، لا أحد يعرف مصيره بالتحديد،
نسمع الألحان البعيدة المقدسة
ونحن نيام على مفارش من حرير
وناكل في أطباق من فضة
ولا نعرف أنها لقاتل
هناك، القتل شيء اعتيادي
الحرية مراوغة
المتعة تفاوض،
الرقة معناها أنك فريسة سهلة
الهشاشة معناها أنك ميت لا محالة
والبكاء معناه أن الآخر اصطادك
الزواج مكان ديني ومغلق.
لا يرحب بالمتفردين، الجانحين أو المجنون
الذين لا يحبون امتلاك الأشياء،
في أغلب الأحيان يستقبلهم زمناً ليقضي عليهم تماماً
يهلهلهم كثياب بالية
يحولهم إلى ريش في مهب الريح.
لا يبقى على وجوههم للذكرى
جروح غائرة مفتوحة.
الزواج سحر يخرج من مرآة يسعى
وراء ما لا يريده
نهرب عسل لكن بداخله زاحف صغير
غول لا ينبت العشب في موطئ قدمه
رياح تخلع أرواحاً من أماكنها
هو الإرث الثقيل الذي نتركه للأولاد
ليحلموا بنسخة أخرى أكثر جاذبية
هو الأولاد الذين حلمنا بهم
هو لا شيء،
لكن معه،
يصبح الإنسان شيئاً لازماً
من أجل الأسرة

■■■

إلى بيوت الآخرين منومين من الألم
ساكنين في مياه راكدة
سكارى على كنبة حمراء
بلا كأس أو نديم أو ليل طويل ملهم
كغزال يدير ظهره للصياد بكبرياء
بعد القتل
في رأسي ثقوب لروح مسكين
ومجنون
أودع البيت القديم باشباحه وأصنع
أطلالاً
من الوهم والأسى والذكريات
نسخ مني في الزمن ستظل باقية
هناك
نسخي الواهنة، عاهراتي الجميلات
الصغيرات
أنتظر من البيت الجديد أن يعطيني
روحه
يذهب بي إلى أرض العاطفة
المشبوبة بالنور
إلى حلم ينزع عني نفسي
أنتظر حيواني الخرافي يأخذني
للمجهول
برغبة متقدة في الحياة
بيدين باكيتين
بصوت يعطي انطباعاً باليأس
بعينين كبيرتين جفت ماؤهما
بجسدٍ مستخدم بلا ثمن مستحق
بسرير جديد من خشب وقطن
وحزن غائر
حزني هو ابني البديهي أنجبته
في الطفولة وعلّمني معنى الأبوة
والأمومة معاً
أنا عائلة فريدة وغريبة
كل إرثي ندمٌ وجَمال.

***

النوم هو رغبتي الجنسية الأصيلة
إنسانيتي الغريبة
ووحوشي التي ترقد في وداعة
مؤلمة
ياتي فجاة كالغرق
كمياه هادرة
تسقط على رأسي أرواحاً معذبة
وعالماً كاملاً مليئاً بالأنبياء
والفاسقين
ياتي كالشيطان لأطبعه
ياتي كالفكرة المجنونة
كالطعنة
كانخلاع الجلد من شدة الحزن
لآلد نفسي من جديد،
لكنني أخشى،
أن يفنى أطفالي داخلي في لحظة
غدر
فأموت.

■■■

ياتي الغرام للمعطوبين كالهلع
فتنتفض الروح استعداداً للآلام
الجامح
ياتي الحب كالرغبة في التحطيم،
كالجُرح في العينين الجميلتين
ياتي كازدراء للإنسان،
كحيوان يغطي الروح
بلا إرادة مني
يسير في مركب ناريّ إلى المجهول
يخرج أشباحي دفعة واحدة بعد
ظني بموتهم
تخرج أشباحي فلا أستطيع العيش
مرة أخرى
ويندلع الشوق كاليتامى إلى أي أم
وينكسر حزني ألف قطعة
ليمشي كالشيطان في ليل طويل مع
الغرباء
فانام مع ذئب وفي قلبي جمر ودخان
وأرى في غفلة من الزمن
معنى الجمال،
معنى الشر.

* مصر

فلسفة

ميشال هنري: عن «همجية» التكنولوجيا وقيمة الحياة البشرية

مصطفى شلش

ميشال هنري (1922-2002) يُعرف على نطاق واسع بأنه إحدى الشخصيات الرئيسية في مدرسة الظاهراتية أو الفينومينولوجيا الفرنسية في القرن العشرين. طوّر منهجاً منقحاً جذرياً للظواهر من خلال قراءة نقدية للتقاليد الظاهراتية (خاصة لهوسرل وهايدغر). أطلق هنري على نهجه اسم «فينومينولوجيا الحياة»، كما عرف نهجه أيضاً بـ«فينومينولوجيا المادية» أو «الفينومينولوجيا الراديكالية».

في كتابه La barbarie الصادر عام 1987 (يُنتقل قريباً إلى المكتبة العربية عن «دار الساقي» بعنوان: «الهمجية، زمنُ علم بلا ثقافة» ـ ترجمة: جلال بدلة) انتقد هنري بقوة ثقافة زمانه ومكانه. اقترح أن الثقافة قد أحدثت انقلاباً حجب الجوهر المُتعالي للحياة، ما دفعه إلى تقديم فينومينولوجيا تعارض صراحةً هذا الانقلاب، محاولاً فهم وإعادة التفكير في ما كان مخفياً من الفكر الحديث، أو بلغة أخرى: طرح هنري الفينومينولوجي سؤالاً: كيف تتم استعادة ما تم نسيانه وإخفاؤه من الحياة المتعالية وإرجاع هذا الجانب المخفي مرة أخرى إلى التفكير؟

تبنّى هنري مفهوماً للحياة المتعالية باعتبارها المعنى المطلق للوجود الذي لا يمكن إخماده. إلا أن الهمجية هي الإنكار المنهجي لهذه الحياة وإخماد العلاقة المعيارية بين الحياة البشرية والحياة المتعالية. نظرية هنري عن «الهمجية» أو «البربرية» هي تعميق لمواضيع إدموند هوسرل حول النظرة العلمية ما بعد غاليليو، حيث تعتبر هذه النظرة شكلاً من أشكال التجريد الضار والقمعي والمُنكر لكل الظواهر التي تشكّل الذاتية المتعالية للحياة. فالطبيعة الرياضية تشكل حجاب أفكار يتجاهل أسس التعالي في الحياة ويزعم أنه قادر على تقديم وصف شامل عن كل الوجود من خلال قمع الوجود، والتقليل من قيمته، كما قال هوسرل: «هناك نوعان فقط من الهروب من أزمة الوجود الأوروبي؛ الأول، سقوط أوروبا في اغترابها عن إحساسها بالحياة، وسقوطها في عداء للروح والهمجية. والثاني، نهضة أوروبا من روح الفلسفة من خلال بطولة العقل التي تتغلب على المذهب الطبيعي مرة واحدة وإلى الأبد، الخطر الأكبر على أوروبا هو الضجر».

يقبل هنري الانجراف في تهمة الهمجية هذه، فالمصطلح الذي يتصدر كتابه، «بربري» (اشتقت منه كلمة «البربرية») تم استخدامه للإشارة إلى أولئك الذين لا يستطيعون التحدث باليونانية، وأولئك الذين لا ينتمون إلى إرث ثقافي مشترك. في الواقع، لم يكن للمصطلح أي دلالة سلبية، كما هي الحال في استخدام هنري. في اليونان وروما، كان البربري «متلعثماً»، أي شخصاً لا يستطيع الكلام، نتيجة كونه غريباً، يتحدر من سلالة مختلفة. لكن هنري يحاول عبر الطرح الفينومينولوجي أن يعمّق الإحساس بـ«الحياة» التي تنفصل عنها البربرية، بالنسبة إليه، فإن الاعتبار والمصدر الأكثر قدسية وخلاصاً هما أصالة الحياة المُتعالية باعتبارها الشرط المسبق والمتسامي لتجلّي العالم من خلال القصد والمرجعية والتمثيل وبطولة العقل.

عالم حياة هوسرل أو عالم الحاضر الحي، في نظر هنري، لا يزال مرتبطاً بالقصد، ولا يمكن لهذا أبداً الوصول إلى الحكمة، وجوهر الفلسفة وغاياتها. لذا يقرّ هنري بأن الوعي الذاتي غير الانعكاسي الأصيل، موجود دائماً بالاقتران مع الأفعال الواعية، وإن عالم الجوهر يتم تمييزه باعتباره المجال الأساسي الذي يعمل بمثابة الشرط التجاوزي والمرجعي للقصد. وبلفت الانتباه إلى النوع الفريد من مظاهر الوعي الذاتي الأصلي، بل أكثر من ذلك بكثير، يزعم هنري أن العالم المحايث هو عالم المجيء الثاني، الإمتلاء الذي تتوق إليه الفلسفة كحب الحكمة.

يظهر الموقف الفينومينولوجي الراديكالي لهنري عندما يرى المرء أن الاختزال بالنسبة إليه ليس مجرد فك لإنجازات الحماسية للموقف الطبيعي من أجل تقدير العالم باعتباره إنجازاً للوعي التجاوزي. إنه ليس انعكاساً فلسفياً على الطريقة التي تكون بها الأشياء في الموقف الطبيعي الذي يتغلب على نزعة ساذجة يتم استيعابها، فيما يغفل عن انخراط العقل الذي يؤدي إلى ظهور الأشياء، بدلاً من ذلك، هو، بالنسبة إلى هنري، اختزال للعالم وصفاته إلى الأصل، إلى جوهر الذاتية المتعالية.

لذا، هناك حاجة إلى لغة بربرية، لاختراق السطح الأملس وفهم تلك القوة التي تطرح نفسها من التمثيل. يظهر التباين نفسه للجوانب المكشوفة والمعكوسة، وهو التباين الذي يكون فيه الجانبان متجاورين. عندما نتحدث عن الثقافة والبربرية، هناك جانب مرئي وخفي. يتمثل الجانب المرئي للثقافة في التعبيرات المختلفة للجمال والفن، بينما يتم التعبير عن الجانب الخفي من خلال الحياة، المتصور كقوة. البربرية هي مظهر من مظاهر القبض على هذه القوة (تظل على أي حال انعكاسها) ويتم التعبير عنها بشكل رئيسي الآن مثلاً من خلال التكنولوجيا.

إذا كانت الثقافة طاقة وممارسة عميقة الجذور في الحياة، فإن البربرية هي تجربة توقيف هذه الحياة وفشل هذه الطاقة. الثقافة معرفة عملية، بينما البربرية مرض من أمراض الحياة يعهد بتمثيلها إلى التكنولوجيا والعلم. في حين أن الثقافة ممارسة تعبّر عن نفسها في مظاهر مثل الفن والدين (احتمالية وجود شرط الحياة)، وجدت البربرية نفسها في الهيمنة على العلم، الذي لا يمكنه تجسيد الحياة في محاولة تمثيلها.

أخيراً، ومع ذلك، إذا كان ما سبق هو طرح هنري الراديكالي للحياة، فلا يمكن للمرء أن يتجنب معارضته لأفكاره العقيمة التي عفا عليها الزمن. فهل ينكر المرء الفوائد التي تسهم بها التكنولوجيا في الحياة، والفوائد التي لن يختار أحد التخلي عنها؟ لقد أدت الهمجية التكنولوجية إلى تحسين حياة الكائنات الحية بلا شك. وأي عودة ستكون عفا عليها الزمن وغير مقبولة «لمجتمع الكائنات الحية». لا تتعلق المشكلة برفض التكنولوجيا، بل تتعلق بشكل أكثر جذرية بالطريقة التي يمكن تصورها بها.

على عكس الثقافة، فإن البربرية تقلل من الزخم الحيوي للحياة حتى نقطة القبض عليها. مع ذلك، لا يمكن أن يكون هذا التحكم نهائياً، حيث إنه بحاجة إلى العلم، الذي يحدد ويقدر القوة التي ليست سوى قوة دافعة حيوية. هذه القوة، التي تتزامن في الأصل، لا تتجلى في البربرية، بل في الثقافة. هذه الحركات من عدم التظاهر والظهور على حد سواء ممكنة لأن شرط الإمكانية، أي عكس جانبها المكشوف، هو رثاء حي من حيث الحياة، إما أن يموت أو يتم إيقافه. إن عكس البربرية، الثقافة، ممكن دائماً، لأن الحياة لا يمكن أن «تموت»؛ تُقاوم نفيها على الرغم من جهد التقنية نحو التشيؤ.

رغم جرأة طرح هنري، فالتقنية التي من شأنها أن تجعل كل شيء موضوعياً لا يمكن قطع علاقتها بالحياة؛ فمحاولة قطع هذا الرابط هي بطريقة ما تزيد من عدم قابلية الحياة للتغلب على التكنولوجيا، لكن حتى ضعف الحياة يشهد على قوتها، لأن هذا الضعف هو الاستحالة الكامنة في هذه القراءة البربرية، حيث تصطدم الحياة بفشل لا يمكن التغلب عليه، هو رغبتها في التخلص من نفسها.

تبنّى هنري مفهوماً للحياة المتعالية باعتبارها المعنى المطلق للوجود

لمحات

خالد صبيح

قد يعتقد كثيرون أن الحديث عن الحصار الإسرائيلي لبيروت قبل أربعين عاماً قد نضب، الا أن الكاتب خالد صبيح وفي قصته «عيد السنون» (مذكرات لم تكتب عن حصار بيروت- دار نلسن)، يعيد الينا وقائع عصفت بالعاصمة اللبنانية، إبان الحصار والقصف الإسرائيليين، عبر سرد قصة شاب مصري لبناني، ينتمي الى «الحزب الشيوعي»، مع صديقته «البغية» يتوجهان من بيروت الى صيدا لإحضار رسوم ناجي العلي الى صحيفة «السفير». الرواية التي تتصف بالغرائبية، تسلّط الضوء على تلك اللحظة الحرجة من تاريخ المدينة ومستقبلها والحلم الذي راود العديد من الشبان اليساريين، في جانب الإطلالة على أماكن لم تعد موجودة اليوم كمقهيَيْ « الويمبي»، و«المودكا»، وعلى أحزاب ومنظمات سياسية اندثرت مع الوقت.

بدايات

«ما هي النيوليبرالية؟» عنوان أرادت مجلة «بدايات» أن يتصدر غلاف عددها الثلاثين، في محاولة لتعقب الظاهرة التي تتحكم في حياتنا منذ أكثر من أربعة عقود. الى جانب افتتاحية رئيس التحرير فواز طرابلسي «الحرية ضد العدالة والمساواة» نقاش لأفكار فون هايك النيوليبراليّة»، يضم العدد ملفاً يضيء على هذه الايديولوجيا، شارك فيه: سوزان جورج، وجورج مونبيوت وجيسيكا وايت التي تحدثت عن «أخلاقيات السوق النيوليبرالية وحقوق الإنسان». وفي باقي الأقسام، تنوعت الموضوعات بين الفلسفة والحياة اليومية في ظل الرأسمالية وإعادة إعمار بيروت بعد الرابع من آب (جاد تابت). واختتم بمقال لعبد الله حبيب عن فيلمه «أصابع»، الفائز بجائزة «اعتراف» في مسابقة «أفضل الأفلام القصيرة».

رفيف عبدالله ومحمد كيشافجي

يغطي كتاب «الشريعة الإسلامية في عالم متغيّر» (ترجمة سيف الدين القصير) للباحثين رفيق عبد الله ومحمد كيشافجي، الشريعة الإسلامية بمظهريها السني والشيعي، وعلاقتها بالعالم المعاصر. يهدف المؤلف («دار الساقي» بالاشتراك مع «معهد الدراسات الإسماعيلية») الى استكشاف حقيقة الشريعة وتبيان تطورها، بالتوافق مع الظروف التاريخية والاجتماعية. كذلك، يلفت الباحثان إلى أن الشريعة والقانون الوضعي أو ما يعرف بالفقه، لم يشكلا أبداً نظاماً قانونياً خالصاً أو مجموعة ثابتة من المعتقدات، بل يأخذاننا الى مجموعة مبادئ أخلاقية منفتحة على التغيير في ظروف سياقات مختلفة. كما يقدم الكتاب نقداً للشريعة اليوم ولعلاقتها بقضايا تتسم بأهمية عالية (حقوق الإنسان والعقوبات الجزائية) في العالم المعاصر.

جيهان الحلو

يوثّق كتاب «غيب فازداد حضوراً - حنا إبراهيم ميخائيل - أبو عمر» (دار الأهلية للتوزيع والنشر -الأردن) سيرة المناضل حنا ابراهيم ميخائيل (أبو عمر)، ومساهمته الفكرية والسياسية والإعلامية في الثورة الفلسطينية. الكتاب (إعداد جيهان الحلو وتقديم شريف كناعنة)، يضم العديد من محاضراته وكتاباته التثقيفية والتعبوية، الى جانب نشر شهادات من أفراد عائلته وزملائه من أيام الدراسة والعمل، ومن رفاق دربه في الثورة الفلسطينية. يتضمن الكتاب الرواية المفصلة والوحيدة لرحلة البحث عنه وعن رفاقه بعد توجههم في قارب من بيروت الى طرابلس في مهمة لحماية المخيمات الفلسطينية، في العام 1976 في أوج الحرب الأهلية اللبنانية.

غيّوم موسو

صدرت أخيراً الترجمة العربية (رانيا الغزال) لرواية «حياة الكاتب السرية» (هاشيت أنطوان ـ نوفل) للكاتب الفرنسي غيوم موسو. في العمل الذي صدر بلغته الأصلية العام الماضي، تتابع الروائي ناثان فاولز الذي قرر اعتزال الكتابة عام 1999، فيلجأ الى جزيرة «يومون»، المتوسطية بحثاً عن الهدوء. لاحقاً، ستكسر الصحافية ماتيلدا موني تلك العزلة، ضمن أجواء تقطع الأنفاس، ونص أدبي ممسوك، يكشف سيناريو غير متوقع على تلك الجزيرة، والمواجهة التي ستحصل لاحقاً بين الكاتب والصحافية، علماً بأن رواية جديدة لموسو بعنوان «مجهولة» نهر السين»، ستصدر خلال الأشهر المقبلة عن دار «كالمان ـ ليفي». وتندرج ضمن الأدب البوليسي عن امرأة يتم إنقاذها على يد الكتبية البحرية في باريس.

سليم مجاعص

«أنطوان سعادة سنوات الاغتراب القسري» عنوان الجزء الثالث من سلسلة «أنطوان سعادة» (دار كتب)، صدر حديثاً للباحث سليم مجاعص. الكتاب الذي يضم عشرة أجزاء، يضيء على رحلة مؤسس «الحزب السوري القومي الإجتماعي» أنطون سعادة الى البلدان التي تشكل مهجراً للسوريين (البرازيل، الأرجنتين، المكسيك وأميركا الشمالية). يوثق الكتاب لهذه الرحلة التي أراد سعادة من خلالها تثبيت الحركة القومية هناك، وتأمين الموارد المادية لها والدعم السياسي أيضاً. يواكب الإصدار، كذلك، الصعوبات التي مرّ بها سعادة، سيما توقيفه في البرازيل واتهامه بالعمالة لدولة أجنبية، وبدء رحلته من هناك في المنفى. يخصص الكتاب أيضاً حيّزاً لعلاقته بزوجته جوليت المير التي كانت الإشراقة وقتذاك وسط العتمة المحيطة بسعادة.

سوسيولوجيا

بدرة بشير في كواليس المسرح التونسي: مرآة لتحوّلات البلاد

أنيس الشعبوني

بعد حوالى ثلاثين عاماً على صدور طبعته الفرنسية، صدرت الترجمة العربية لكتاب عالمة الاجتماع بدرة بشير «عناصر من الحدث المسرحي في البلاد التونسية» (ترجمة محمد المديوني (معهد تونس للترجمة/ وزارة الثقافة و«دار محمد علي»). يعتبر هذا الكتاب مرجعاً كانت تفتقده الدراسات حول المسرح التونسي من منطلقات سوسيولوجية. فبدرة بشير هي من الجيل المؤسس لعلم الاجتماع في الجامعة التونسية، «انتمت إلى الجيل الثاني من المختصين التونسيين في علم الاجتماع، فلعبت مع رفاقها دوراً لا يستهان به في ترسيخ ما أسسه روّاد السوسيولوجيا في الجامعة التونسية الناشئة بعيد الاستقلال»، وفق ما أورد المديوني في مقدمة الكتاب.

يمثّل الكتاب رحلة في ذاكرة المسرح التونسي منذ بداياته مطلع القرن العشرين، سيما منذ تأسيس فرقة بلدية تونس للتمثيل والفرق المحلية بعد استقلال البلاد في 1956وخطاب الزعيم الحبيب بورقيبة في 7 تشرين الثاني (نوفمبر) 1962 الذي سطّر فيه سياسة الدولة في المجال الثقافي والدور الذي يجب أن يقوم به المسرح في تثبيت سياستها الرسمية. في هذا المجال، تقول الباحثة: «تمثّل الثقافة في نظر المسؤول السياسي، قبل أي شيء، وسيلة للمراقبة الاجتماعية، وتتوجّه عناية المثقف بالخصوص نحو الامتدادات الإيديولوجية للمفهوم». وتضيف: «أما الفترة الأولى، فتتمثل في تبني مفهوم بورقيبة للمسرح وتطبيقه تطبيقاً وفياً. وأما الفترة الثانية، فترافق تراجعاً مقارنة بانطلاق المبادرة الأولى. أما الفترة الثالثة فقامت على إغناء للفكرة في صورتها الأولى».

وتناولت الباحثة دراسة إنتاج فرقة مدينة تونس للتمثيل والفرق المحلية في جندوبة وسوسة وصفاقس وقفصة والقيروان والكاف والمهدية ونابل. كما اهتمت بالمسرح الجديد (فاضل الجعايبي، فاضل الجزيري، محمد إدريس، جليلة بكار...) والمسرح العضوي (عز الدين قنون)، ومسرح فو (رجاء بن عمار ومنصف الصايم) والمسرح المثلث (الحبيب شبيل) والمسرح الوطني، ومسرح المغرب العربي، وفرقة سنمار (توفيق الجبالي) وفرقة السنابل، وفرقة «الديدحانة»، ومسرح الأرض (نور الدين الورغي)

وقسّمت الكتاب إلى أربعة فصول كبرى هي: الأول «عناصر من الحدث المسرحي في البلاد التونسية»، اهتمّت فيه بـ«تأسيس» الخطاب الرسمي و«ثوابت النظرة الثقافية الرسمية» و«الأبعاد الثابتة والمتعدّدة للمسرح في الإيديولوجيا الرسمية» و«حدود الإيديولوجيا الرسمية وحدود المنجزات في المجال المسرحي». كما اهتمت في هذا الفصل بـ«القمع الثقافي في سنوات السبعين»، إذ شدّدت السلطة الرقابة على المسرح التونسي وتم منع العديد من المسرحيات من العرض أمام الجمهور.

أما في الفصل الثاني (نماذج ثقافية جديدة وعراقيل أمام الطاقة الإبداعية: وضعية رجل المسرح في البلاد التونسية)، فاهتمّت فيه بالوضعية الهشة للممثل والفنان في المجتمع التونسي، والعراقيل القائمة أمام الانتاج المسرحي، وعلاقة الفنان والسلطة، من خلال عينة من الممثلين. واهتمت في الفصل الثالث بمجموعة من الاشكاليات المتعلقة بالمسرح العربي والممارسة المسرحية في مجتمع عربي إسلامي، مثل المسرح والتفكير والتبعات الإيديولوجية لإشكالية المسرح في المجتمع العربي الإسلامي، والمسرح واستعادة التراث، والبحث عن الهوية، ورفض الخطاب الاستشراقي. وفي السياق نفسه، قدّمت بيبليوغرافيا حول إنجازات المسرح التونسي بين سنتي 1970 و1981في الجامعة التونسية.

أما في الفصل الرابع الذي سمّته «أشكال التعبير المسرحي والتغيّر الاجتماعي في البلاد التونسية»، فاهتمت فيه بتجربة «المسرح الجديد» الذي تقول عنه «لقد ألحّ هذا المسرح بصورة خاصة على منظومة القيم الخاصة بالبورجوازية الجديدة. كل شخصية من الشخصيات تمثل شكلاً من النجاح الاجتماعي». وتضيف: «غالباً ما يبدو القطع مع المنوعات القائمة في الثقافة العربية الاسلامية

فرقة «المسرح الجديد» قطعت مع المنوعات القائمة في الثقافة العربية الإسلامية

في نظر «المسرح الجديد» فعلاً محرراً مقارنة بالأخلاق المعهودة، وغالباً ما يتجلّى ذلك في شخصية السكّير الذي يتحوّل من خلال لجوئه إلى الكحول إلى شخصية حقّة». وأضاءت في هذا الفصل أيضاً على تجربة عز الدين المدني في تناوله للتراث، مثل شخصية الحلاّج، وشخصية صاحب الحمار في سياق الشخصيات المثلى في التاريخ، والتمرد الناجم عن الوعي الجمعي العربي الاسلامي، والصورة التراجيدية للذات العربية.

وتعتبر بدرة بشير أنه منذ انقلاب الجنرال زين العابدين بن علي على الزعيم الحبيب بورقيبة الذي عرف بولعه الكبير بالمسرح، لم تشهد تونس تجارب مسرحية مهمة خارج ما تناولته الباحثة بين 1985و1990، وهو الإطار التاريخي لبحثها لكنها تركت الباب مفتوحاً. وعرفت تونس خلال السنوات الثلاثين التي لم يتناولها الكتاب مجموعة من التجارب المتفاوتة الأهمية، كان وراءها متخرّجو «المعهد العالي للفن المسرحي»، إضافة إلى الفرق المستقلة التي تجاوز عددها 250 تحصل على دعم مالي من وزارة الثقافة إلى جانب الفضاءات المستقلة التي انتشرت في البلاد بعد «14 جانفي» 2011.

ورغم هذا الكم الكبير للمؤسسات المسرحية، ما زالت الأعمال الجادة قليلة بعدما صمت محمد إدريس، وتوجّه فاضل الجزيري إلى أشكال أخرى من الفرجة، ووفاة رجاء بن عمار ومنصف السويسي وعز الدين قنون... فمن «الكبار» لم يبق إلا الجعايبي وتوفيق الجبالي ومنصف الصايم ونور الدين الورغي، في حين يبحث الجيل الجديد عن صورته.

مراسلات

جورج سيمنون وفيديريكو فيلليني: رسائل المسرّة

خليل صويلح

لولا الرسائل المتبادلة التي نشرتها مجلة «دفاتر السينما» الفرنسية المشهورة قبل سنوات، لاستغربنا الصداقة الحميمة التي جمعت بين جورج سيمنون (1903- 1989) وفيديريكو فيلليني (1920- 1993)، نظراً إلى اختلاف توجهاتهما؛ فالأول روائي بلجيكي اشتهر بكتابة الرواية البوليسية في المقام الأول، والثاني أبرز مخرجي السينما الإيطالية الجديدة. رسائل امتدت إلى نحو 20 عاماً (1969-1988) تختزل تاريخاً متفرّداً يضيء المشغل الإبداعي لكليهما، إضافة إلى الطاقة الروحية التي يتبادلانها في تعزيز عمل المخيّلة. كان جورج سيمنون رئيساً للجنة التحكيم في «مهرجان كان السينمائي»، فابهره فيلم لفيلليني هو «ساتيريكون» (1969)، فكتب رسالته الأولى مبدياً إعجابه بالفيلم. كانت هذه الرسالة فاتحة لعشرات الرسائل الأخرى المتبادلة بين الروائي والمخرج.

من جهته، اختار أحمد اليوزي مجموعة من هذه الرسائل ونقلها إلى لغة الضاد بعنوان «رسائل مختومة بطابع المسرّة»، وصدرت أخيراً عن «دار نثر» في عُمان. ورغم الطابع الشخصي لهذه الرسائل، تنطوي على تمجيد متبادل للإبداع أولاً، بصرف النظر عن فارق السن بين الصديقين. يصف فيلليني صاحب «المجهولون في المنزل» بأنه «كائن شامخ ينتمي إلى ميثيولوجيا الأحلام». سوف تتكرّر مفردة «الحلم» في المتن كثيراً، وخصوصاً أن سيمنون فيلليني في معظمها تنتمي سردياً إلى الأحلام أكثر منها نسخة عن الواقع.

حتى إنه في إحدى رسائله يروي مناماً له، يرى فيه جورج سيمنون منكبّاً على الآلة الكاتبة في حديقة منزل (كتب سيمنون نحو 400 رواية و1000 قصة قصيرة)، لكن شهرة هذا الروائي لم تمنعه من أن يقول لصديقه «أحاول أن أصبح مقداماً مثلك، لكني ربما صرت الآن أبالغ في النحط مثل الأكباش الهائجة، من دون العثور على البيئة الحقيقية للقيام بذلك». ولا يتوانى عن تشبيه فيلليني بمايكل أنجلو وشكسبير بقوله «كلما أغمضت عيني، تخيلتك على سطح سقالة غير ثابتة، مثلما كان مايكل أنجلو تحت سقف كنيسة سيستينا، أو شكسبير فوق منصات المسارح الهشة التي يعلن فيها الملك لير صخبه وعنفه أمام جمهور متحرّك بكثافة».

يعترف فيلليني بأنه عندما كان شاباً أصيب بلوثة أدب سيمنون، من دون أن يعالج نفسه منها، وها هو يتعرّف إليه مباشرة، لكن تباعد المسافات بينهما، أهدأنا هذه الرسائل البديعة التي سيتسرب بعض أفكارها المرتجلة إلى مذكراتهما. فقد كان جورج سيمنون منكبّاً على كتابه «إملاءات»، فيما سيكتب فيلليني مذكراته «لا أستطيع أن أعطي معنى لوجودي، ولا أن أبرّر عيشي اليومي إلا حين التواجد وسط الجَلَبة والفوضى أثناء إنجاز أحد أفلامي» يقول.

المفارقة أن فيلليني لم يقرب أعمال صديقه بتحويلها إلى السينما، فيما اقتبس الآخرون مثل مارسيل كارنيه وكلود شابرول وبرنار تافرنييه نحو 170 فيلماً من رواياته؟ فقد كانت سينما فيلليني في معظمها تنتمي سردياً إلى الذهنية». سيلفت فيلليني إلى لغة الواقعية الإيطالية الجديدة نفسها. على الأرجح، هذا ما جعل سيمنون يقول في إحدى رسائله له «أعمالك لا تنتمي إلى أي تقليعة تعبيرية، وهذا ما يجعلها نفيسة جداً»، و«أفلامك مختلفة لأنها لا تستجيب سوى لانشغالاتك الذهنية»، سيلفت فيلليني إلى لغة صاحب «الأرملة كوديرك» وقدرتها على العبور نحو اللغات الأخرى بسلاسة، على عكس لغة أفلامه. يشير إلى ذلك بقوله «أمّا أنا، فالقى كلّ مرّة نفسي مع اللغة المحكيّة في أفلامي، التعقيدات الشديدة والعويصة جدّاً، لأنّ ثمّة دائماً بعض الكلام العامّي في أفلامي، وتعبيرات مأخوذة من اللهجات الدارجة، وشخصيات تتكلّم بطريقة تميّزها بشكل خاص، فتتصرّف تصرّفاً شخصياً كبيراً في كلمات بعينها، وفي بناء بعض التعابير المحلّيّة التي لا تكون قابلة للترجمة الى لغة أخرى، لأنّ الثقافات والأساطير والديانات والفولكلور والعادات مختلفة بنسبة كبيرة جدّاً، من شعب الى آخر».

هكذا تتناوب حكمة الروائي ببثّ جرعات إعجاب لصديقه السينمائي، بينما يزداد قلق الأخير فيلماً وراء آخر «أشعر وكأنّي لم أقرّر في أي شيء من حياتي أبداً، رغم أني أمارس دوماً مهنة ظلّت تلزمني باتخاذ آلاف القرارات في اليوم الواحد. في حين أنّ القرارات الأخرى، تلك التي لا تتعلق بكيفية التعبير الإبداعي عندي، وإنّما تتصل بالأحداث والوقائع التي ينبغي أن تطال حياتي الشخصية، فيبدو كأني لم اتخذ بشأنها أي قرار واع بالمرّة». في رسالة لاحقة، سيعمل سيمنون على تحريض فيلليني للإفادة من أعمال يونغ في التحليل النفسي، واستثمار العقل الباطني في سردياته البصرية، من دون أي نوع من الرقابة. هناك أيضاً قلق الهوية، إذ يشير الروائي إلى أنه لا ينتمي إلى هوية محدّدة، على عكس السينمائي الذي تمتد جذوره إلى روما القديمة مهما غاب عنها أو فكّر بهجرتها.

اليوم، لن نقع على رسائل مشابهة، فلا أحد ينتظر قدوم ساعي البريد، كما لن يغامر روائي كبير بمديح سينمائي شاب ويقول عنه ببساطة «اتصوّرك على شكل شهب نارية لا يخبو لها وميض أبداً».

سيعمل سيمنون على تحريض فيلليني للإفادة من أعمال يونغ في التحليل النفسي

أوراق

حرب الديك والغراب

زكريا محمد *

توم تشامبرز ــ «بينما يطير الغراب» (2013)

ليست العلاقة طيبة بين الديك والغراب في الثقافة العربية القديمة، بل عدائية متوترة. وجذر هذا التوتر ميثولوجي - ديني. أما الجاحظ الذي كان يستمتع بأساطير الأعراب، فقد نقل لنا بقدر من التفصيل سرّ العداء بين هذين الطائرين: «وفي كثير من الروايات من أحاديث العرب، أن الديك كان نديماً للغراب، وأنهما شربا الخمر عند خمّار ولم يعطياه شيئاً، وذهب الغُرابُ ليأتيه بالثَّمنِ حين شرب، ورَهن الدّيك، فخاس به، فبقي محبوساً». يضيف في الكتاب نفسه: «فالغرابُ عند العرب مع هذا كلّه، قد خدع الدّيك وتلعَّب به، ورَهَنه عند الخمّار، وتخلّص من الغُرم، وأغلقه عند الخمّار، فصار له الغُنم وعلى الديك الغُرم، ثمّ تركه تركاً ضرب به المثل.... وفي جميع ذلك يقول أمية بن أبي الصلت:

بآيةِ قام ينطق كلُ شيءٍ
وخانَ أمانةَ الديك الغرابُ»
(الجاحظ، الحيوان).

وهكذا، فقد كان الديك والغراب «صحبة كأس»، لكن الغراب الذي شرب الخمرة ولم يدفع ثمنها، رهن الديك محبوساً عند الخمار على أن يعود بالثمن، فلم يعُد. لقد ترك الديك تركة لا مثيل لها.

وقد تبدو هذه مجرد قصة لطيفة للأطفال، لكنها ليست كذلك. فهي، من جهة، قصة أصول تحاول أن تبيّن لنا سبب طيران الغراب وعدم طيران الديك. وهي من جهة ثانية ذات مغزى ديني عميق. وبيت ابن الصلت أعلاه يبيّن لنا العداء بين الديك والغراب قصة بدئية. أي أنها تسرد أحداثاً بدئية حدثت عند لحظة ما من خلق الكون. فقد حدثت القصة بينهما حين كان كل شيء ينطق «بآية قام ينطق كل شيء». والزمن الذي كان فيه لكل كائن لساناً ينطق به هو «زمن الفطحل» حسب ما أخبرنا الرجّاز الشهير رؤبة بن العجاج:

تسألني عن السنين كم لي؟
فقلت: لو عُمّرت عمر الحسل
أو عمر نوح زمن الفِطَحْل
والصخر مبتل كطين الوحل
أو أنني أوتيت علم الحُكّل
علم سليمان كلام النمل
كنت رهين هرم أو قَتل.

إذ حين سئل رؤبة عن زمن الفطَحْل هذا، فقال: «أيام كانت الحجارة فيه رطاباً، وإذ كل شيء ينطق» (الثعالبي، ثمار القلوب). وهذا الزمن هو زمن الطوفان. إذ كنت قد اقترحت سابقاً أن كلمة «فطحل» تعريب العربي لاسم الإله المصري القديم «بتاح، فتاح» الذي حلّ الطوفان في زمنه، والذي كان بناء للسفن مثله مثل نوح. بالتالي، فكلمة «فطحل» كلمة مركبة من «فطح إل»، أي «فتاح إل»، وبمعنى: الإله فتاح. عليه فنوح مثيل بتاح وشبيهه. ونوح هو نوح الطوفان. بذا، فقصة الديك والغراب تتحدث عن زمن الطوفان، أو أنها حدثت زمن الطوفان على الأقل.

لكن ما هي جذور هذا العداء القديم بين هذين الطائرين، وما هي أسبابه؟ يمكن لي أن أقول إن العداء نابع من أن الديك يمثل المطر والشتاء، أي يمثل الماء العلوي، في حين أن الغراب يمثل الصيف والماء السفلي. بذا، فالعداء بينهما هو في الواقع تمثيل للانقلابات الفصلية. أي أنه ليس عداء بين طائرين، بل هو «عداء» بين فصلين متعاكسين متضادين، يخلف أحدهم الآخر ويطرده.

ولدينا تأكيد لهذا من التراث الشعبي الفلسطيني على ما نقول. إذ يصف لنا توفيق كنعان مشهد طلب الاستسقاء في فلسطين أوائل القرن العشرين في قرية «عين كارم» قرب القدس على الشكل التالي:

«ركبت امرأة عجوز على حمار، وحملت ديكاً في يديها، وتبعها موكب كبير من الرجال والنساء والأطفال. وبعض النساء حملن جراراً فارغة على الرأس، كإشارة لقلة الماء. وقام آخرون بالطحن على طاحونة يدوية صغيرة دون قمح. وبين فترة وأخرى، ووسط صخب الجمهور الحاشد تضغط المرأة على عنق الديك، فيزعق، وبهذا يشعر الناس أن الديك يشاركهم في التوجه إلى الله» (كنعان، توفيق، الأولياء والمزارات، 1998، ص 221-222).

من الواضح أن اختيار الناس في «عين كارم» لديك من أجل الاستسقاء وطلب المطر ليس مصادفة. فالديك رمز مطري. كذلك، فإن ضغط المرأة العجوز على عنق الديك لكي يزعق ليس مصادفة أيضاً. إنها زعقة موافقة على طلب المطر. أي أنها مثل قول: آمين. ولعل هذا يجعلنا قادرين على تفسير المثل العربي الذي يقول: «ليس بصياح الغراب يجيء المطر» (الثعالبي، التمثيل والمحاضرة). فصياح الديك هو الذي يجلب المطر. لذا كانت عجوز «عين كارم» تضغط على عنق ديك لا على عنق غراب. عليه، فالتكملة المنطقية للمثل: «ليس بصياح الغراب يأتي المطر، بل بصياح الديك».

> الديك ماطر، والغراب فيضي و«العداء» هو بين فصلين متعاكسين متضادين

والغراب لا يجلب المطر لأنه ليس ممثل الماء العلوي، ماء المطر، بل هو ممثل الماء السفلي، أي الماء التحت أرضي، الذي يتبدى في العيون والآبار الارتوازية وفي فيضان الأنهار، الذي يأتي من أعماق الأرض، حسب معتقدات القدماء. لهذا تقول القصة إنّ هاتفاً جاء عبد المطلب، جد النبي محمد، طالباً منه أن يحفر بئر زمزم قرب الكعبة. لكنه لم يكن يعرف أن يحفرها بالضبط. فطلب منه الهاتف أن يحفرها عند نقرة الغراب الأعصم: «فقال: احفر زمزم. قال: قلت: وما زمزم؟ قال: لا تنزف أبداً ولا تذم، تسقي الحجيج الأعظم، وهي بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم» (السيرة النبوية، ابن إسحق). بذا فنقرة الغراب هي التي حددت مكان عين زمزم. أي حددت الفتحة التي سيخرج منه الماء السفلي.

بهذا المعنى، فالغراب قناقن، أي مهندس مائي، مثله مثل الهدهد تماماً. فالعرب تزعم أن الهدهد «يبصر الماء من تحت الأرض، وأن الأرض كانت له كالزجاج» (اليوسي، زهر الأكم).

بناء عليه، فحين نجد أن الديك قد حبس عند الخمار، فهو يعني أن المطر قد انحبس، وأن الشتاء قد ولى، وحلّ محله الصيف. وحين يطير الغراب ويفرد جناحه مع الصيف وفيضه، لا مع الشتاء ومطره. ووقت الطوفان أطلق نوحاً غراباً من نافذة السفينة لكي يرى إن كان الطوفان قد انتهى، فطار ولم يعد. أي لم يحبس في السفينة.

أما الخمرة، فليست للديك. الغراب هو الخمري. هو السكير الذي يشرب الخمر. ذلك أن الصيف هو الذي يخمر لا الشتاء. كما أن الماء يسري في عروق النخل والكرمة من أعماق الأرض، متحولاً إلى سكر، ثم خمرة، في الصيف لا في الشتاء. وإذا كان الديك قد نادم الغراب وشرب الخمرة معه الخمرة حقاً، كما تقول القصة التي رواها الجاحظ، فإن الغراب يكون قد أغواه، وأخرجه عن طبعه. لقد أغواه كما أغوت الزهرة الملكين هاروت وماروت. ومن أجل هذا الذنب أيضاً، يبدو أنه حبس عند الخمار.

والحق أن هذا ما يقوله أمية ابن أبي الصلت في قصيدة أخرى معروفة تبدأ بهذا الشطر: ومَرْهنةٌ عند الغراب حبيبه. تقول القصيدة:

وَأَمسى الغُرابُ يَضرِبُ الأَرضَ كُلَّها
عَتيقاً وَأَضحى الديكُ في القِدِ عانِيا
فَذلِكَ مِما أَسهَبَ الخَمرُ لُبَّهُ
وَنادَمُ نِدماناً مِنَ الطَيرِ غاوِيا

وهكذا، فالغراب عتيق، أي معتوق مطلق الجناح، أما الديك فمحبوس مقيد الجناح، ذلك لأنه «نادم ندمانا من الطير غاويا». كلمة «غاويا» تفضح الأمر كله. فالديك ليس في الأصل خمرياً، بل صار كذلك بالغواية والخديعة. لقد خدعه الديك وسقاه الخمرة، فعوقب بأن فقد القدرة على الطيران.

ويستبدل الغراب في بعض القصص بطائر آخر. فهو يصير تدرجاً عند ابن سيرين مثلاً. إذ يقول لنا إنّ: «نوحاً عليه السلام، أدخل الديك والتدرج السفينة، فلما نضب الماء ولم يأتِه الإذن من الله تعالى في إخراج من معه في السفينة، سأل التدرج نوحاً أن يأذن له في الخروج ليأتيه بخبر الماء، وجعل الديك رهينة عنده، وقيل إنّ الديك ضمنه فخرج وغدر ولم يعُد، فصار الديك مملوكاً، وكان شاطراً طياراً فصار أسيراً داجناً، وكان التدرج ألوفاً فصار وحشياً» (ابن سيرين، منتخب تفسير الأحلام). وكما نرى، فالديك هنا لم يشرب خمراً، مما يدل على أن ربط الديك بالخمرة طارئ وليس أصيلاً. لقد نادم الديك الغراب، أي صاحبه صحبة كأس، مصادفة وليس طبعاً. فالديك ماطر، والغراب فيضي. وسوء الظن بينهما نابع من هذا. نابع من أنهما يمثلان فصلين مختلفين، ويمثلان طرازين من الماء العذب: واحد يمثل الماء السفلي، والآخر الماء العلوي، ماء المطر.

* شاعر فلسطيني